

المسيح ثائراً

(قراءة جديدة في الإنجيل)

د.ق. صموئيل حبيب



انفسنا حيتنا نوصف السبح
وقد استقر على التفكير "لاهور
السبح" اكدت له اننا نحن
الهيبة لاهوت السبح ، الا انه
اننا نحن لا الهيبة مسألة . فلما
تحدثنا عنه اننا نحن لمفسدا
يا هيبة الانسان ، روحنا ، وورثه .
بل انه فقيه اننا نحن السبح ، نصير
عنه معان عميقة ، منو لقاس
الله مع الانسان . فقهية التجدد
نشهد الله ابا للبشرية . فهو
فرسبه البشر ...

م. م. م. م.

دار الثقافة

٦,٩٠

coptic-books.blogspot.com



دار الثقافة

١.١.٢٢٣

المسيح ثائراً

قراءة جديدة فى الإنجيل

دكتور القس
صموئيل حبيب



طبعة أولى

المسيح ثانياً

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم إقتباس أو إعادة
نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أى جزء منه بدون إذن الناشر ، وللناشر وحده
حق إعادة الطبع) ١٠ / ٦٤٥ ط ١ / ٢ - ٢ / ٩٥

رقم الإيداع بدار الكتاب: ٩٥ / ٣٥٣٣

I . S . B . N 977 - 213 - 271 - 0

جمع وطبع بـسيوبرس

مقدمة الدار

لقد كتب كثيراً حول شخص المسيح، وقد تنوعت هذه الكتابات، فهناك من اهتم بسيرته الذاتية ومبعزاته، وهناك من درس لاهوته وعقيدته، وهناك من حاول أن يقدم تصوراً لفلسفته وأسلوبه فى الحياة. ومع قيمة كل هذه المحاولات إلا أن هذه الدراسة تأتى بشىء جديد ومختلف.

فلقد حاول المؤلف وهو أحد رواد الفكر اللاهوتى العربى المعاصر أن يدرس بعناية الظروف التى نشأ فيها المسيح، وكيف أن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى عصره كان لها دور هام فى صياغة تفكيره وأسلوبه.

ومن خلال دراسة تحليلية للمفاهيم والقيم التى أرساها المسيح يحاول المؤلف أن يقدم لنا رؤية جديدة للحياة والإيمان.

إنه يدعونا للتلاحم مع الواقع، والانفصال عن الوهم والخرافة إلى الفاعلية والتواجد.

إن دار الثقافة يسعدها أن تقدم هذا النموذج من التفكير ليكون حافزاً لنا لإعادة التفكير مرة أخرى فى شخص المسيح وقراءة الإنجيل بطريقة واقعية.

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

٣	تمهيد
١٧	مقدمة: المجتمع الذي عاش فيه المسيح
١٩	لماذا ندرس المجتمع الذي عاش فيه المسيح؟
٢١	أولاً: فلسطين في عصر السيد المسيح
٢١	الجليل
٢٢	اليهودية
٢٣	السامرة
٢٤	الناصرة
٢٤	الشعب الفلسطيني اليهودي
٢٦	نشأة يسوع الطفل
٢٨	ثانياً: الوضع السياسي في إسرائيل في عهد المسيح
٣٠	مجتمع اليهود دين ودولة
٣٧	ثالثاً: الأحزاب الدينية والسياسية في عصر المسيح

٣٧	الفريسيون
٤٠	الصدوقيون
٤٤	الكتبة
٤٦	الأسينيون
٤٦	الغيورون
٤٧	الشرعة الشفوية
٥١	رابعاً: مجامع اليهود
٥١	السنةديم
٥٢	المجامع اليهودية
٥٣	خامساً: الطبقة في المجتمع الذي عاش فيه المسيح
٥٤	فساد المجتمع
٥٧	قضايا ثورية في أقوال وأعمال السيد المسيح
٥٩	تقديم
٦١	من هو المسيح؟
٦٣	سؤال غريب! من هو المسيح؟
٦٩	القيم وكيف نفسرها؟
٧١	روحنة النصوص تخرجها عن المعاني المقصودة

- ٧٢ المدرسة الرمزية في التفسير
 من أقوال المسيح وأعماله نكتشف اتجاهه الفكري والاتجاه
 يرسم الطريق في المستقبل ٧٤
 القضية الأولى: ٧٧
 دعا المسيح لممارسة التقوي الداخلية وأعطاه أولوية علي
 الشريعة الطقسية ٧٧

نماذج :

- (١) رفض المسيح الشريعة الحرفية بشأن يوم السبت،
 وأراد أن يكون السبت يوماً لعمل الخير. ٧٩
 (٢) شاهد المسيح كيف استغل المنحرفون الشريعة
 الطقسية والحرفية، وسيلة لإخفاء الانحراف والحق والكراهية
 والانتقام ٨١
 (٣) رفض المسيح تحويل الممارسات الصحية إلي قوانين
 دينية، تستخدم في الحكم علي الناس. ٨٢
 (٤) رفض المسيح أن تكون العبادة وسيلة للتعالي
 والتباهي والظهور ٨٣
قيم جديدة قدمها المسيح : ٨٤
 (١) أخطاء الاتجاه القلبي المنحرف أشر من خطايا الجسد ٨٥

- (٢) التقوي تبدأ داخل الإنسان، فلا بد أن يتفق المظهر مع الجوهر، والشكل مع المضمون، والخارج مع الداخل ٨٦
- (٣) رفض المسيح الشريعة الشفوية ٨٨
- الشريعة الشفوية في المجتمع المسيحي اليوم ٨٩
- الحرية في المسيح يسوع ٩٣
- من يأكل ومن لا يأكل ٩٣
- لا يزددر... لا يذن ٩٦
- مشكلة العشرة ٩٩
- لا تخلط الأوراق ١٠٢
- سر شعبية الشريعة الشفوية ١٠٤
- الفريسية أسلوب حياة ١٠٦
- تعليق ختامى ١٠٦
- (٤) جدد المسيح الشريعة وأكملها ١٠٧
- القضية الثانية: ١١١
- ثار المسيح دفاعاً عن كرامة الفقير والمظلوم والشرير وحقوق المرأة ١١١
- ١- قضية الفقراء ١١٤

١١٦	المسيح ورسالته للفقراء
١١٦	الفقر والظلم الاجتماعي
١١٧	صورة الغني الذي لا يرحم
١٢١	تقدير السيد للعناية بالفقير
١٢٢	لمسة إنسانية
١٢٢	وماذا عن الفقراء من فئات أخرى؟
١٢٤	دعوة التحرير من الظلم الاجتماعي
١٢٥	تحرير الفقير
١٢٦	ما هي رسالة المسيح؟
١٢٧	٢- قضية الخطاة
١٢٧	الأبرار والأشرار
١٢٨	تعامل المسيح مع العشارين والخطاة
١٣٠	علاج الخطية
١٣١	غفر السيد المسيح خطايا أشر الخطاة
١٣٢	غفران الله قائم قبل التوبة
١٣٣	مشكلة التفرقة في مجتمعاتنا الدينية اليوم
١٣٤	التعددية في الإيمان

١٣٥	٣- قضية المرأة
١٣٨	غفر المسيح خطايا المرأة
١٣٨	المرأة تتعبد
١٣٩	المرأة تعلم وتتعلم وتعمل
١٣٩	تطبيق المرأة
١٤٠	العادات التي تسيء إلى المرأة
١٤٢	قيادة المرأة
١٤٢	مكانة الطفل

القضية الثالثة :

١٤٥	الإنسان أهم من الشريعة والمسيح أهم من الهيكل
١٤٧	الإنسان أهم من تطبيق الشريعة
١٤٨	الإنسان أهم من تطبيق عقاب الشريعة
١٤٩	القانون لا يحل المشكلات ولا يصلح الإنسان
١٥٠	حماة الشريعة فاقدون للإنسانية
١٥٢	أقوال السيد المسيح وأعماله ليست شرائع
١٥٣	- تنوع المبادئ التي تركها السيد المسيح
١٥٦	- وصايا المسيح لا يمكن تحويلها إلى شرائع

- ١٥٨ لا شريعة في المسيحية -
- ١٦٢ اتجاه المسيح يرسم الطريق الذي نسير فيه -
- ١٦٣ فما هي الحدود؟ -
- ١٦٤ المسيح أعظم من الهيكل -
- ١٦٧ المراجع

تهديد

كتب كثيرون عن السيد المسيح. فالمجلدات التى تدرس شخص المسيح في اللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية، إلى غير ذلك من لغات العالم، مجلدات لا تحصى ولا تعد. فشخصية السيد المسيح، أبهرت العالم أجمع، على مدى ألفى عام.

وتنوعت الكتابات، منها ما هو تاريخي، يتضمن ترجمة حياة شخص يسوع المسيح، ومنها ما هو لاهوتي، وفكري، يتضمن أسلوب السيد المسيح، وأقواله وأعماله. وهناك كتب متخصصة في فروع معينة من حياة السيد المسيح، منها: أقوال المسيح، معجزات المسيح، أمثال المسيح، إلى غير ذلك. وهناك كتب عديدة فى أسبوع الآلام، منها ما يصف يوم الجمعة الذى صلب فيه المسيح، ومنها ما يتحدث عن الصليب، من جوانب عديدة، ومنها ما يتحدث عن القيامة... إلخ.

كما أن هناك كتباً تناولت شخص المسيح. فكتب لاهوت عديدة تتحدث عن المسيح: من هو؟ ما معنى ابن الإنسان؟ ابن الله؟ ومجلدات عديدة تصف عقيدة الكريستولوجى CHRISTOLOGY أي دراسة شخص المسيح وحياته، من منطلقات لاهوتية متنوعة.

ولا شك أن بعض الكتب مجّدت شخص المسيح، إلا أن هناك كتباً انتقدته. فمن هذه الكتب، من أراد أن يحلل شخص المسيح نفسياً، ومنها من تحدث عن صحة ما جاء في الإنجيل عنه، إلى غير ذلك. فالكاتبون والمحللون ناقشوا شخص المسيح وحياته وتعاليمه بحرية. فليس، على وجه

الأرض من كان موضوعاً لكتابات الكاتبيين، من علماء ومفكرين وباحثين ولاهوتيين، كما حدث مع شخص "يسوع المسيح".

ولسنا هنا بصدد التحدث عما ورد عن السيد المسيح في تلك الكتب. ولكننا استعرضنا الحديث عما جاء عنه في كتابات سابقة. فما هو شأن كتاب آخر، جديد، يتحدث عن المسيح؟

انشغل مجتمعنا بشخص المسيح. وقد استولى علي التفكير "لاهوت المسيح" أكثر من إنسانيته. ورغم أهمية "لاهوت المسيح"، إلا أن "إنسانية المسيح" لها أهمية ماثلة. فكلما تحدثنا عن إنسانيته، أحسنا بأهمية الإنسان ومكانته ودوره. بل إن قضية إنسانية المسيح، تعبر عن معاني عديدة، منها تقارب الله مع الإنسان. فقضية التجسد تدعو الله "أباً" للبشرية، فهو قريب من البشر. وهذا المفهوم يعطى معنى هاماً للبشرية كلها.

كما انشغل مجتمعنا برسالة السيد المسيح. فمنذ أواخر القرن التاسع، وهناك مدارس فكرية، تتحدث عن السيد المسيح، أنه جاء لرسالة روحية فقط. وتفصل هذه الرسالة بين روحانية الفرد وحياته العامة. وفي هذا الفكر خطورة قصوي. فرسالة السيد المسيح رسالة شاملة، وليس من الجائز فصل الرسالة الروحية عن باقي حياة الإنسان. وسوف نتعرض بأكثر تفصيل لهذه الدراسة فيما بعد.

لهذا كان من الضروري أن نكتشف فحوي دور السيد المسيح، من خلال حياته وأعماله. والهدف من هذه الدراسة أن نكتشف معاً، ما أراد المسيح

أن يحققه في حياته ورسالته. مما سيساعدنا حتماً، لإدراك دورنا في الحياة. ونحن في دراستنا، لشخصية المسيح، والقضايا الفكرية والعملية التي تعرض لها، سنري من خلالها ما أراد المسيح أن يعمل. هذه الدراسة، تدفعنا، أن نقرأ تاريخ السيد المسيح، في الأناجيل الأربعة. ومن خلال هذه القراءة، نكتشف دوره ورسالته، ونتعرف علي فكره وقيمه.

نحن نعلم أن الأناجيل الأربعة لم تسجل كل شيء. فكما ذكر يوحنا الإنجيلي (٢٥:٢١) "وأشياء أخر كثيرة، صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة".

ولكننا نجد في الأناجيل الأربعة سجل يكفيننا، يكشف لنا شخصية المسيح، والأهداف التي كان يصبو إليها، والرسالة التي أعلنها وقدمها للبشرية.

وقد أردت هنا الاستناد إلي الأناجيل فقط، فيما عدا مرات قليلة، ليكون التركيز الكامل في الدراسة علي حياة وأعمال وأقوال السيد المسيح. فحياته -رغم قلة ما كتب عنها- ثروة فكرية ضخمة.

وقد أردت أن أضع عنواناً لهذه الدراسة "قراءة جديدة في الإنجيل". فنحن نتعرض -في هذه الدراسة- لتحليلات دراسية للمواقف، والأعمال، والأقوال، نكتشف من خلالها مفاهيم، وتفسيرات وأساليب فكرية، تختلف بعض الشيء عما درجنا علي فهمه، في كلمات الإنجيل. فقد امتلأت الساحة الكنسية، بمفاهيم سطحية وهامشية وأحياناً خيالية. بل أخطر من

ذلك، فإن بعض ما كتب من شروحات للأناجيل، أبعد ما يكون عن المعاني والأهداف الحقيقية لها. ونحن نحاول هنا أن ننقي التفاسير والشروحات، ولننقي علي ونوضح المعاني التي نقدر أن نقول إنها هي المقصودة في الوحي المقدس.

وإنني أرجو أن يجد القارئ متعة، وهو يدرس هذا الكتاب، كما تخلق فيه الدراسة صراعاً فكرياً، ليري من خلال صفحات الكتاب ما يدفعه إلي زيادة البحث والدراسة.

المؤلف

مقدمة

المجتمع الذى عاش فيه المسيح

لماذا ندرس المجتمع الذي عاش فيه المسيح ؟

عندما ندرس أقوال وأعمال السيد المسيح، لابد لنا من دراسة المجتمع الذي عاش فيه. فالأقوال والأعمال مرتبطة ارتباطاً أصيلاً بالشعب الذي عاش المسيح فيما بينه. فالواضح أن حياة المسيح، لم تكن مجرد مُثل أطلقت دون مطابقة مع المجتمع، ولا هي فلسفة تنظير أعلنها المسيح في عزلة عن الناس. بل إن أقوال المسيح وأعماله، كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالناس، وبحياتهم. ومن خلال قراءتنا للإنجيل، نري أن كل كلام المسيح، مرتبط إما بحوارات مع الناس، أو متابعة لأحداث تتم من حوله.

وحياة الناس، في المجتمع المعاصر للسيد المسيح، مرتبطة بالحضارات القائمة، والثقافات المتاحة، والخلفية الفكرية عند الناس، والمفاهيم الشائعة عندهم، والعادات والتقاليد المتعارف عليها. يضاف إلي ذلك، أن مجتمع المسيح، كان مجتمعاً دينياً. فلا بد من التعرف على الخلفية الدينية اليهودية، التي كانت سائدة في وقت مجئ السيد.

فلو عرفنا تلك الخلفية الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي عاش المسيح في عصرها، لأدركنا كيف استقبل الناس المعاني التي تحدث عنها السيد المسيح. فالتفسير الحقيقي لأقوال السيد المسيح وأعماله، هو مطابقة هذه الأقوال والأعمال مع فهم الناس لها، في مجتمع المسيح. ومن خلال هذه المطابقة، نكتشف ما أراد المسيح فعلاً أن يتحدث عنه.

نستمع إلى أحاديث ومواظ عديدة، تعطي معاني متنوعة لأقوال السيد المسيح وأعماله. والوعظ علم، يعطي الحق للواعظ أن يربط الأفكار والتعاليم، ويطابقها بالعصر. فمرات قد يخرج الواعظ عن المضمون الحقيقي للآيات، إلى تأمل روحى. فللوعظ حرية متاحة، أكثر من التفسير والشرح. ونحن، فى هذا الكتاب، نرتبط بالشرح والتفسير.

فلسطين في عصر السيد المسيح

مجتمع اليهود شمل الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب، تتوسطهما السامرة وبيرية. عاش المسيح كل حياته في هذه المنطقة. ولابد لنا أن نتعرف عليها، لكي ندرك معنى أقوال وأعمال المسيح التي تمت فيها، ومع شعبها.

عاش المسيح طفولته في الجليل، فالناصرة قرية في الجليل، التي تقع شمالاً. ومارس المسيح خدمته سواء في الجليل أو في اليهودية - جنوباً، أو في السامرة. ونحن نحاول - باختصار - أن ندرس كل مقاطعة من هذه المقاطعات، لكي نتعرف قليلاً على كل واحدة منها.

الجليل :

أرض خصبة، تشتهر بالزراعة، خاصة زراعة الفواكه وتعرف بإنتاج النبيذ^(١)

Edersheim Sketches ., P. 35 (١)

والجليل أرض خصبة^(٢) ومنطقة غنية. والجليليون كان لهم تجارة مع العرب واليونانيين والسوريين والفينيقيين^(٣).

قانا الجليل، إحدى مدن الجليل، وتقع شمال شرقى الناصرة، على مسافة مسيرة ثلاث ساعات^(٤). هناك ولد نثنائيل (يو ٢: ٢١)، وهناك أجرى المسيح معجزته الأولى، بتحويل الماء إلى خمر (يو ٢: ١-١١).

في الجليل مدن أممية يونانية، سكن فيها يونانيون. تكلم الناس -في الجليل- العبرية، والآرامية، واليونانية. الجليليون أسخياء، كرماء، وطنيون. وهم مكافحون، يعملون ويجاهدون.^(٥)

والعبادة في الجليل تمت من خلال مجامع، يقودها في الأغلب كتبة. التدين في الجليل كان يرتبط بالقيم السلوكية أكثر من الطقوس.^(٦)

كان الجليل أكثر انفتاحاً من اليهودية. استعملت في الجليل العملات اليهودية واليونانية. وكان الجليليون أكثر تحمراً، وأسعد حالاً.

اليهودية :

اليهودية في أقصى الجنوب. وفيها يقع مجمع السهندريم الأعلى، وهيكل سليمان مبنى على رابية صهيون. أورشليم تقع في اليهودية.

Pentcost. The Words and Works of Jesus Christ ., P. 516 (٢)

(٣) المرجع السابق. ص ١٧٥

Edersheim. OP. Cit, P.37 (٤)

(٥) المرجع السابق ص ٤٠

Pentcost. OP. Cit (٦)

ولليهودية ذكريات تاريخية.

أورشليم موقع سياحى ضخم، كان به مسرح يونانى. فى أورشليم جواسيس يعملون لصالح الرومان، وهناك الشرطة اليهودية^(٧). الناس فى اليهودية يتكلمون العبرية والآرامية واليونانية. وفى اليهودية العالم اليهودى القديم المحافظ، لطقوسه ومراسيمه التقليدية التى عاشت سنوات عديدة.

عرفت اليهودية بأنها الأكثر تديناً، بسبب وجود الهيكل. والممارسات الدينية فيها. وبسبب الهيكل، تواجد الكهنة، وكان عددهم -فى أيام المسيح- يصل إلى عشرين ألف كاهن.

وفى عصر المسيح، كانت الإسكندرية، المدينة التى بناها الإسكندر الأكبر، مركزاً لليهودية الغربية. التقى فى الإسكندرية يهود من أوروبا وآسيا وأفريقيا^(٨).

السامرة :

السامريون -أصلاً- يهود من الدولة الشمالية. تبعوا الهيكل الذى بناه يشوع على جبل جرزيم. منذ أن رفض السامريون اتّباع هيكل أورشليم، وصارت هناك عداوة حادة بين السامريين واليهود. وصفهم اليهود أنهم ليسوا شعباً، وليسوا دولة^(٩). وكان اليهود، وهم ينتقلون من الشمال إلى

(٧) المرجع السابق. ص ١٢٩

(٨) المرجع السابق. ص ٥٩

(٩) المرجع السابق. ص ٥٢٦

الجنوب، أو العكس، لا يبرون بالسامرة، بل يدورون حولها من جهة الشرق. وهنا كانت المشكلة عندما اجتاز المسيح فى ذلك الطريق، الذى يمر بالسامرة، ولم يتفادها.

وهذا يرينا سر المشكلات التى كانت بين اليهود والسامريين. وكان اهتمام المسيح بالسامريين، واهتمامه باليهود، مثار قلق وتشدد من جانب اليهود.

وكان حديث المسيح مع السامرة، مشكلة، ليس فقط لأنها امرأة، بل لأنها -أيضاً- سامرية. والمثل الذى قاله المسيح عن السامرى الصالح، كان -أيضاً- مثيراً بالنسبة لليهود.

الناصرة :

كانت الناصرة وهى تقع جنوبى الجليل بقعة جميلة، فى موقع جميل فى الجليل. إلا أن الناصرة انطبق عليها رأى العام لليهود عن الجليل. فكان المفهوم أن الشمال أقل تديناً من الجنوب، وأن الدين الحقيقى، والتقوى الحقيقية هى فى اليهودية. لذلك كانت الصورة عن المسيح أنه من الناصرة، "أمن الناصرة يمكن أن يكون شىء صالح" (يو: ١: ٤٦) (١٠).

الشعب الفلسطينى اليهودي :

كان المعروف عن شعب فلسطين، أنه يتقن التجارة. فالمنطقة متوسطة بين الدول، وتقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. وكانت تنتشر صناعات

(١٠) المرجع السابق. ص ٥١٢

منزلية كالغزل والنسيج اليدوى.

كان الفلسطينى معروفاً بالكرم، بيته مفتوح للغرباء^(١١). وكانت العادة أن يسير المضيف مع الغرباء عند خروجهم، يشييعهم إلى خارج المدينة (راجع أعمال الرسل ٥: ٢١). فصفة الكرم، من الصفات التى تحدثت عنها الشريعة اليهودية، هذا إلى جانب أنها تتصف بها شعوب المنطقة.

كانت البيوت تبنى من الحجارة أو من الطوب، يختلف فى ذلك بيوت الأغنياء عن الفقراء. وكانت الملابس عادة من الصوف أو الكتان، حيث كانت صناعة الكتان فاخرة فى تلك الأيام. وكانت تشتهر الملابس باللون الأبيض أو البنى^(١٢).

وكانت المدارس تهتم بتعليم الشريعة، حيث يبدأ ذلك من عمر السادسة. فكان النظام المتبع أن الطفل من عمر ٦-١٠ يدرس شريعة العهد القديم، ومن عمر ١٠-١٥ يدرس المشنا والتقليد^(١٣).

معنى ذلك، أن التعليم -أساساً- تعليم دينى. يدرس الطفل إلى جانب الدين الدراسات الأخرى.

وكان كل طفل إلى جانب تعلمه الدينى، يتعلم حرفة ما. وكان يمارسها من الطفولة. والحرف تأتى عادة من أنواع الحرف المتداولة فى المنطقة، والتى تحتاج إليها البيئة.

Edersheim op. cit p. 47 (١١)

Pentcost . op. cit. P.P. 564 , 565 (١٢)

(١٣) المرجع السابق. ص ٥٦٢

نشأة يسوع الطفل :

من المعروف فى الناصرة، أن المنزل الذى سكن فيه يسوع طفلاً كان إما من حجر أو طوب، له باب واحد، ونوافذ قليلة. والمعروف فى البيوت فى تلك الأيام تواجد مصاطب من الطوب، أو من الطمى للنوم، مع مصطبة خارج البيت لاستقبال الضيوف^(١٤).

درس يسوع الطفل فى مدرسة الناصرة. ولا شك أنه درس الشريعة وأصول الإيمان، بالنظام المتبع فى المجتمع اليهودى. تحدث يسوع العبرية والأرامية واليونانية، وهى اللغات التى كانت متداولة فى الجليل واليهودية فى ذلك العصر، ويغلب على الظن أنه أتقنها كلها^(١٥).

ولما كان كل طفل يتعلم حرفة ما، فقد اشتغل يسوع مع يوسف رجل مريم، فى حرفة النجارة. ولما كان يسوع يعمل معه، فهذا سمح له، أن يقوم بالأعمال التى تقع خارج دكانه. أى أنه كان يقوم -فى الأغلب- بمهام النجارة، فى البيوت. وهذا أعطاه فرصة، أن يرى الناس، وأن يحتك بهم فى حياتهم اليومية، وأن يشعر بمشكلاتهم وحاجاتهم، وأن يراقب المجتمع بكل ما فيه.

وكالأطفال فى بلده، كان يسير عارى الرأس، قد يضع طاقية على رأسه بسبب الشمس فى الظهيرة. وكان يلبس الجلباب مع حزام فى الوسط، متى

(١٤) المرجع السابق. ص ٥٦١

(١٥) المرجع السابق. ص ٥٦٢

لزم^(١٦) . وعندما يأكل، كان يجلس على الأرض، وأمامه مائدة منخفضة
كعادة الناس في عصره.

ولا شك أن يسوع واطب على حضور مجمع الناصرة. وقد كانت الشريعة
تقرأ في المجمع أيام الاثنين والخميس والسبت من كل أسبوع. وكانت
المجامع تسمح لأي شخص من الحاضرين أن يقود تلاوة الشريعة، ما لم
يتواجد كاهن أو لاوى في المجمع^(١٧) .

(١٦) المرجع السابق. ص ٥٦٤

(١٧) المرجع السابق. ص ٥٦٣

الوضع السياسي في إسرائيل في عهد المسيح

فلسطين في عصر السيد المسيح، كانت مستقلة اسمياً، ولكنها فعلياً كانت تحت السيطرة الرومانية^(١٨). وكان مفهوم إسرائيل أن الدولة ثيوقراطية، تحت حكم الله. لذلك كان الاستعمار الروماني له معنى في غاية السوء بالنسبة للشعب. فالاستعمار حل محل الله في نظرهم.

وكان لمثل قيصر روما، دور رئيسي في السيطرة على فلسطين. وإقامة ممثل روما، في نفس فلسطين، كان إعلاناً لسيادة روما على الشعب^(١٩).

اهتمت الدولة الرومانية بالسيطرة على الشعب، من خلال جمع الجزية. دفع الناس الجزية، سواء قبلوها أو رفضوها. ونحن نذكر أن الجزية طلبت من السيد المسيح، وقام المسيح بسدادها (مت ١٧: ٢٤-٢٧). وبذلك زادت الضرائب المطلوبة من الشعب: ضريبة الدولة الرومانية، إلى جانب ضريبة الهيكل، وضريبة عشور الحقل^(٢٠). وبذلك صارت الالتزامات على الشعب اليهودي فوق طاقة الشعب، مما جعل الشعب يعاني كثيراً.

(١٨) Edersheim op . cit, p.10

(١٩) Guthrie.Jesus the Messiah p. 37

(٢٠) Edersheim , op. cit , pp. 53 , 54

تنوع حكام الرومان، فمنهم من كان قاسياً على الشعب، ومنهم من كان أقل قسوة. منهم من أحب المعمار، وعاون على التعمير، وتشغيل العمالة اليهودية، ومنهم من أهمل كل شيء.

بدأ الاستعمار الرومانى عام ٦٣م، عندما جعلت روما كل فلسطين جزءاً من ولاية سوريا^(٢١). ولهذا صدر القرار بالاحصائية فى عهد كيرينىوس عندما كان والياً لسوريا بين عامي ٦-٩م^(٢٢). وجاء أخيراً بيلاطس البنطى (٢٦-٣٦م) الذى أساء لليهود، وهو الذى حكم علي المسيح بالموت.

كانت الثقافة اليونانية هي ثقافة الدولة الرومانية. فقد انتشرت الحضارة اليونانية والرومانية في فلسطين في تلك الأيام، واختلطت بالحضارة اليهودية.

وقد كان واضحاً، أن الشعب لم يكن راضياً عن تواجد الرومان وسيطرتهم، لكنهم قبلوا ذلك صاغرين. وقد رأى اليهود أن تواجد الرومان دليل على عدم رضا الله عليهم. وكانوا يتطلعون إلي وقف مجيء المسيا، ليخلصهم من هذا السلطان الغاشم.

لكن وجود الرومان تسبب في مشكلات عديدة. فمن الشعب من خدموا الرومان. فجباة الضرائب، كانوا يهوداً. استغلهم الرومان لابتزاز أموال الشعب. ولعل صورة زكا، نموذج واضح لهذا الاستغلال.

Poetzal . The world that shaped the new testament P.15 (٢١)

Guthrie . op . cit , p . 18 (٢٢)

كما أن حزباً بأكمله -حزب الصدوقيين- وهو حزب سياسى هام، لعب دوراً خطيراً فى التصالح أو التحالف مع الرومان، لتحقيق مصالح الطرفين. والذين تحالفوا مع الرومان، وخدموهم، نظر إليهم اليهود نظرة احتقار. فهؤلاء خونة العهد. خدموا العدو والمستعمر، لصالح ذواتهم، دون اعتبار لدولتهم. لذا لم يكن للعشارين مكان محترم، رغم أنهم اغتنوا من وراء ابتزاز أموال الشعب. وكان الشعب يضعهم فى مصاف الخطاة.

مجتمع اليهود دين ودولة

خلط اليهود بين الدين والدولة. فالدولة دولة دينية، واليهودية ديانتها. والتشريع يربط بين الدين والدولة. فالشريعة، تتضمن القوانين المدنية والجنائية. إلا أن الشريعة أضيفت إليها العقيدة اليهودية، والطقوس والصلوات، وقيم خلقية سلوكية، وقيم صحية، إلى غير ذلك. وإنه لمن الخطورة بمكان أن تتحول القيم الإنسانية إلى قوانين. ومن الخطورة أيضاً أن بعض مبادئ الصحة تصبح قوانين. وأخطر من ذلك أن القوانين تعتبر قوانين دينية ومدنية فى ذات الوقت.

لم تكن هذه مشكلة الديانة اليهودية فحسب، بل هي مشكلة كل الديانات. فكل دين ظهر على وجه الأرض، حاول أن يربط بين الدين والدولة. فالربط بينهما، وسيلة لطاعة الله -في نظرهم- من جانب، وهو أيضاً، وسيلة لحفظ الدين، وامتداده، وانتشاره. لذا، حرص بعض رجال الدين بل وبعض العلمانيين فى كل الأديان فى وقت ما من تاريخهم - لربط بين الدين والدولة، فتكون الدولة ثيوقراطية. ولهذا مشكلات عديدة، كما

ظهر من التجارب المتنوعة.

فالخلط بين الدولة والدين محنة كبرى. وقد اجتازت المسيحية هذه المحنة في القرون الوسطى، عندما حكم الدين الدولة، وعندما حكم رجال الدين الشعب. فالخلط بين الاثنين له مساوئ عديدة، تضر بالدين، كما تضر بالدولة.

ومشكلة الخلط بين الدين والدولة، هي مشكلة من نوع واحد مهما اختلف الدين. فتفسير الأحداث، والخلط بينها، والمشكلات التي يعاني منها الدين، أو المشكلات التي تتسبب لدولة بسبب الخلط بين الدين والدولة، كلها من نوع واحد، لأي دين كان. ولذا كان لابد لنا أن نستعرض الموقف في حالة خلط الدين والدولة، مما يعطينا صورة عن الوضع عند اليهود، في عصر المسيح، أو الوضع اليوم، في أي دولة معاصرة، تواجه نفس المشكلة.

فالخلط بين الدين والدولة يحول نظم العبادة وطقوسها وفرائضها إلى قوانين، والدين لا يجوز أن يكون قوانين صارمة، فالدين اختيار لا إرغام فيه. فالصوم مثلاً، لا يجوز أن يكون قانوناً. فالإنسان يصوم برغبته، ولا يجوز أن يُرغم علي الصوم. فإن صام مرغماً، ما كانت هذه عبادة. فالصوم رغبة إنسانية.

وتزيد المشكلة، متى اشتملت القوانين الدينية على عقوبات، في الدولة الدينية. فالذي لا يصوم مثلاً، يُحكم عليه بحكم محكمة. وهذا أمر خطير جداً. فالدين علاقة بين الإنسان وربه. والذي يمارس العبادة، ونظمها، يخضع لرضا ربه عليه. ولو تحول الدين إلى قوانين، لها عقوبات، يكون الدين قد

فقد أهميته كدين.

يضاف إلى ذلك، أن الدين عندما يرتبط بالدولة، فى دولة دينية، يصبح رجل الدين سلطة دكتاتورية علي الدولة، وبالتالي على الشعب. فالخطورة أن رجل الدين يتحدث باسم الله. ويخشي البسطاء، رفض دعوته. وهنا يتحول رجل الدين من كونه مشيراً، يعاون الناس علي حياة كريمة، ويدعوهم إلي الإيمان والبر والتقوي، إلى رجل حكم، يحكم عليهم بالقانون الرادع. فيصبح الدين أحكاماً وجنایات وجرائم، وهذا يخالف الدين كل المخالفة.

وعندما يحدث صدام بين دولتين، إحداها دولة دينية، فيكون التفسير دائماً، أن الدولة من دين معين، تحارب الدين الآخر. وبذلك يصبح مفهوم العلاقات بين الدول، مفهوم علاقة دينية. وهذا يقفل أبواب الحوار والتفاهم بين الأطراف المعنية.

وفي الدولة الدينية، يصبح رجل الدين، موظفاً بالدولة. وهذه خطورة أخرى. فالدين هنا يصبح وسيلة في يد السياسة والساسة. ويمكن للدولة أن تحكم علي رجل الدين، أو أن تسيره بالكيفية التي يريد لها.

كما أن تحويل الإيمان إلى إفتاءات، وقرارات تحليل وتحريم، يضر بالدين. فالإيمان، عندما يتحول إلي قرارات حرفية دينية، تعبر عما هو مسموح به، وما هو مرفوض، ما هو حلال، وما هو حرام، فهذا اختزال للإيمان إلى قرارات حرفية غير مناسبة. فالإيمان، أساساً، هو علاقة بين الإنسان وربه، تنشأ عنها حرية الفرد، فى أن يختار فى سلوكه الشخصى ما يرضى ربه.

وإرغام الشعب، علي الخضوع لشرع الله، مشكلة أخرى. فمن ذا الذي يجرو أن يدعى أن لديه وحده شرع الله. فالذي يظن أنه يستحوز علي الله، يخطيء إلى الله نفسه. فالله ملك للجميع. ولا يجوز لدين ما، أيا كان، أن يدعى بأن الله ملك له وحده دون غيره.

كانت هذه مشكلة اليهود، عندما فهموا خطأ، أنهم "شعب الله المختار"، الشعب الوحيد، الذي الله هو إلهه، وأن الله ليس إلهاً لكل الأمم الأخرى. فالله خالق البشرية. كيف يمكن أن يفضل أحد عن البشرية كلها. وكل الأمم والممالك والدول خاضعة له. إنه إله الخليقة، إله المسكونة، وكل ما فيها، إله التاريخ بماضيه وحاضره ومستقبله.

نعيش هذه المشكلة، حتي عصرنا الحاضر، في الدول التي تريد أن تكون ثيوقراطية، أو التي تتمسك بدين شرعي لها. فالمشكلات التي يعانون منها، والمشكلات التي يعاني الدين منها، مشكلات لا حل لها.

يضاف إلي ذلك أن الدولة تتكون من أناس، لهم أخطاؤهم. فالبشر بشر. وليسوا معصومين. فلو حكم البشر باسم الله، لنسبوا أخطاءهم إلي الله، أو إلي الدين. وفي الحالتين، إساءة لله، وإساءة للدين.

فلا بد من فصل الدين عن سلطة الحكام. وبذلك يستمر الدين نظيفاً من أخطاء البشر، يحكم عليهم، دون أن يلصقوا به أية اتهامات أو مشكلات.

ومن ذا الذي يجرو أن يحكم باسم الله؟! من ذا الذي يدعى أن ما يقوله هو أمر الله؟ كيف يجرو حاكم -أيا كان- أن يعطي قوانين أو قرارات، أو

تعاليم أو توصيات، ثم يقول إنها من الله؟ فلو حدث، لكان يدعى أنه هو الله.

لذا، فإن فصل الدين عن الدولة، كرامة للدين، وحماية له. وبذلك تكون العلاقة الدينية، بين المخلوق والخالق، علاقة مباشرة، حرة. فللمخلوق أن يختار ما يريد أن ينفذه. والأشرف، أن يتحرك الإنسان برضاه. فمتى تحول الدين إلى قانون، يُرغم الناس عليه، ظهر الزيف الديني بأسوأ صوره. فتجد أن الكثيرين يتظاهرون بالصوم، فى موعد الصوم، وهم غير صائمين. وتجد كثيرين يتظاهرون بالتدين، وهم أبعد ما يكون عن الدين.

ولو عدنا إلى أقوال السيد المسيح عن الصلاة والصدقة والصوم (مت ٦)، نجد أنه يلوم أولئك الذين يريدون أن "يظهروا للناس" مصلين، أو صائمين، أو متصدقين. فالمظاهرة الكاذبة هي هدفهم الأول. وقد كان المسيح غير راض عن هذا. فالعبادة هدف فى حد ذاتها، ولا يجوز أن تتحول إلى وسيلة مظاهرة لتمجيد الإنسان.

يضاف إلى ذلك، أن شريعة الله متدرجة. فالشريعة التي أعطيت لإبراهيم، تدرجت في سلم الرقي عندما سلمت لموسى، ثم تدرجت عندما سلمت لداود، إلى غير ذلك. والتدرج هنا، يرتبط بظروف الشعب، ومفاهيمه. فكلما ارتقت الثقافة، والحضارة، تعدل مفهوم معاملة الله للشعب. فالله يتحدث إلى الناس من خلال أساليبهم، ويقدم لهم الوصايا، مما يقدر على إدراكه وفهمه. وتدرج الشريعة هنا، يرتبط بقدرات الناس على التجاوب، والاستيعاب، كل عصر حسب ظروف الناس وإمكاناتهم.

ونحن نشاهد تطور الشريعة، بين ما عرفه الشعب قديماً، فى عصر موسى، وما نادى به الأنبياء. ففى عصر موسى، كان شعب الله المختار هو المركز. وما فهمه الشعب أن الله هو إله هذا الشعب وحده، دون سواه. لكن الأنبياء، ومنهم عاموس، أرادوا أن يوضحوا للشعب، أن الله قادر أن يصنع من الحجارة أبناء لإبراهيم وأن الله هو إله الخليقة كلها.

وحاول السيد المسيح، فيما بعد أن يوضح أن الله يشرق شمسهُ على الأبرار والظالمين، فالله إله الجميع، الأبرار والأشرار، وهو إله لكل الشعوب. ونظر السيد المسيح إلى الشريعة الواردة فى العهد القديم، وطورها، لإكمالها. وسوف نعود إلى هذه القضية فى الدراسة القادمة فى موضع آخر من هذا الكتاب.

لذلك، فإن تقييد الدين، بتحويل الشريعة الإلهية، فى عصر ما، إلى قوانين جامدة، يجعل القوانين هدفاً، ويجمد الشريعة من أنها تتطور مع العصر والزمن، وترتقى مع رقى الإنسان وحضارته. ولما كان تقدم الإنسان ثقافياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، هو هدف الله للإنسان، فالشريعة هنا تتطور مع ظروف الحياة. ولا يجوز تقييد الشريعة، بتحويلها إلى قوانين جامدة لا حياة فيها ولا حركة.

نخلص من هذا أنه ليس من مصلحة الدين فى شيء، أن يتحول إلى شريعة دينية أو قوانين دولة. كما أنه ليس من مصلحة الوطن أن يرتبط بدين. فالدين مسئول أن يؤثر على السياسة، وعلي الدولة، دون أن يصبح الدين سياسة، ودون أن يصبح قادة الدين سياسيين. وهدف تأثير الدين على

السياسة، هو تحقيق السلام والعدل والحق فى المجتمع.

لا بد من ترفع الدين فوق الدولة. فربط الدين بالدولة، إقلال للدين، وتصغير من دوره، وتهميش له، وإساءة إلى مكانته. الدين يرتبط بالعلاقة بالخالق، وبالقيم السلوكية التي تربط علاقة الإنسان بنفسه أو بالآخرين، أو علاقة المجتمع بنفسه أو بالمجتمعات الأخرى. فلا بد من تحرير الدين من السياسة والسياسات، ليتمكن الدين من أن يؤدي دوره كاملاً من أجل البشرية.

استعرضنا بإسهاب مشكلة ربط الدين والدولة. من خلال هذه الدراسة، يمكننا أن نكتشف موقف مجتمع اليهود -فى عهد المسيح- عندما ربط بين الدين والدولة، كما يمكننا أن نكتشف أعماق المشكلات التي تعرض لها مجتمع اليهود.

الأحزاب الدينية والسياسية في عصر المسيح

الفترة التي عاش فيها المسيح، في المجتمع اليهودي، أطلق عليها فيما بعد "فترة ما بين العهدين". أى أنها الفترة، بين آخر الأنبياء في العهد القديم، ومجيء السيد المسيح. ولهذه الفترة مواصفات خاصة، سنحاول أن نوضحها من خلال الدراسة التالية.

وجدت أحزاب دينية، وفي نفس الوقت -في الغالب- سياسية. فالتحفظ بين الدين والدولة، جعل للأحزاب ارتباطاً بين السياسة والحياة المدنية والدينية. ونحن نحاول أن ندرس الأحزاب الرئيسية التي كانت متواجدة في فترة ما بين العهدين. ومن خلال هذه الدراسة، سنكتشف أن المسيح كان في مواجهة صارخة مع هذه الأحزاب.

الفريسيون :

ظهرت حركة "الحسيديون" Hasidim في وقت غير معروف. وهم جماعة كان لهم اهتمام ديني غير سياسي. فصلوا أنفسهم عن الاهتمامات السياسية^(٢٣). ويرجع البعض ظهورها في القرن الثاني قبل الميلاد. ظهرت

pentcost . op. cit ., p . 543 (٢٣)

حركة الفريسيين من حركة الحسيديين، التي تعتبر إمتداداً لها (٢٤).

إلا أن الفريسيين، فى وضعهم أيام المسيح، كانوا ينسبون تاريخهم إلى أيام عزرا، حيث دخلوا فى عهد مع يهوه، وفصلوا أنفسهم عن شر الأمم (عزرا ٦: ٢١ و ٩: ١ و ١١: ١ و نحميا ٩: ٢ و ١٠: ٢٩). - وكانت أول إشارة واضحة عن الفريسيين، فى عهد يوحنا هركانوس John Hyrcanus رابع المكابيين (١٣٥-١٠٥ ق.م.). رغم أن المؤرخ المشهور يوسفوس، يشير إليهم، أنهم ظهروا قبل ذلك، بقرنين من الزمان (٢٥). وقد بدأ الفريسيون كحركة، ثم تحولوا إلى حزب، ثم صاروا مدرسة لاهوتية (٢٦).

كلمة "فريسي"، فى العبرانية تعنى "المعتزلة". وهى تميز مجموعة من الناس عزلوا أنفسهم عن غير المتدينين (٢٧). غالبية الفريسيين تمثل البورجوازية اليهودية. (٢٨) فهم طبقة متوسطة فى الغالب. كان منهم قليل من الكهنة واللاويين. لكن الغالبية كانوا علمانيين، فالكهنة واللاويون من الفريسيين كانوا قلة قليلة جداً.

كان للفريسيين مجتمعات مغلقة. العضو الذى ينضم إليهم، ينضم إليهم بصعوبة، وبعد اختبارات. والعضو فى هذه الحالة، يكون ملتزماً بنظم تفصيلية دقيقة جداً (٢٩).

(٢٤) المرجع السابق.

Edersheim. op. cit. p.230 (٢٥)

(٢٦) المرجع السابق. ص ٢٤٤

(٢٧) المرجع السابق. ص ٥٤٣

(٢٨) المرجع السابق. ص ٥٤٥

(٢٩) المرجع السابق. ص ٥٤٥، ٥٤٦

كان الفريسيون فى الأغلب رجال أعمال، وتجار. تخاصموا مع الرومان وتصالخوا معهم حسب الظروف، وحاجة المصالح المشتركة. وكان للفريسيين شعبية عارمة^(٣٠). هاجموا الهلينية. وشعبيتهم أعطتهم القوة والسلطة السياسية عندما طلبوها. تراجع الصدوقيون أحياناً أمامهم بسبب شعبيتهم، رغم أن الصدوقيين كانوا أصحاب مركز وسلطة.

آمن الفريسيون بالملائكة، والأرواح، وخلود النفس، والعقاب الأبدى، والقيامة من الأموات. اهتموا بالممارسات الطقسية. صاموا (مر٢: ١٨)، وعشروا النعنع والشبث والكمون (لو١١: ٤٢)، كما قدسوا يوم السبت حرفياً (لو١١: ٤٣).

اهتموا بشريعة موسى، والعهد القديم. وأضافوا إلى ذلك شريعة شفوية، استمرت شفوية، حتى كتبت عام ٢٠٠م فى ثمانين مجلداً، وسميت "المشنا". وهذا يربنا ضخامة الشريعة الشفوية، التي زادت على حجم شريعة العهد القديم^(٣١). وسنعود لدراسة الشريعة الشفوية عند الفريسيين، ومفهومها، فى هذه المقدمة .

اهتم الفريسيون بالتقوى الشخصية الطقسية، وأعطوها أولوية على كل شىء آخر. اهتموا بالصوم فى المواعيد المحددة (مت٩: ١٤)، سعوا للمعمودية (مت٣: ٧)، عشروا كل شىء حتى البقول (لو١١: ٤٢)، ورفضوا أى شىء لم يتم تعشير، رفضوا الشركة مع الأشرار (مر٢: ٦)، واهتموا

(٣٠) المرجع السابق. ص ٥٤٣

(٣١) المرجع السابق. ص ٥٤٦

بالطهارة الشخصية من خلال الاغتسال الطقسى (مر ٧: ٣، ٤) (٣٢).

أراد الفريسيون أن تكون حياة الإنسان كلها خاضعة للشرعة، وبذلك يكونون أبراراً^(٣٣)، ويكون كل الشعب، أناس الشرعة^(٣٤).

عاش الفريسيون عيشة بسيطة، فلم يلجأوا إلى الترف. كانوا يمثلون الغالبية من الشعب، ولهم مكان ظاهر (لوقا ١١: ٤٣). كثيرون من القيادات كانوا فريسيين. فيعقوب، أخو الرب، كان فريسياً. ويولس الرسول كان فريسياً. كانت الفريسية أخوة، تشمل كل أفراد الأسرة^(٣٥).

دخل الفريسيون عضوية مجمع السنهدريم، وهو أعلى سلطة يهودية دينية سياسية، فى مجتمع اليهود، فى تلك الأيام. تحالف بعضهم مع الرومان، ولكن الغالبية لم يتحالفوا.

عارض المسيح كثيراً من أفكار الفريسيين، خاصة الشرعة الشفوية. لكن الفريسيين كرهوا المسيح لأنه كسر السبت، وكسر تقاليد الشيوخ، وصادق العشارين والخطاة.

الصدوقيون :

ينتمى الصدوقيون إلى صادوق، الذى كان كاهناً أيام داود الملك، ورئيس كهنة أيام سليمان الملك (صموئيل الثانى ١٥: ٢٧ و ٢٥: ٢) وملوك

Roetzal . op . cit . pp . 25 , 26 (٣٢)

Pentcost . op . cit . , p . 548 . (٣٣)

(٣٤) المرجع السابق . ص . ٥٥

Edersheim . op . cit p . 228 (٣٥)

الأول ٢: ٣٥). إلا أن الحزب، بهذا الاسم، تكون في عهد المكابيين (١٦٧-١٤٢ ق.م.) (٣٦).

استمر معهم خط الكهنوت إلى السبي البابلي، ثم أعيد بعد السبي مثلاً في يهوشتع بن يهوذاق (حجى ١: ١). وهم فرقة سياسية أكثر منها دينية. وكان لهم احترام كبير في إسرائيل (حزقيال. ٤: ٤٥..و. ٤٤: ١٥...) (٣٧). كثيرون من الصدوقيين يمثلون أصحاب الأملاك الريفية، بينما كان الفريسيون ممثلين للبورجوازية الحضارية (٣٨).

أنكر الصدوقيون الملائكة والأرواح. لم يؤمنوا بخلود النفس، ولا بالعقاب الأبدى، ولا بالقيامة من الأموات. نادى الصدوقيون، بأنه لا ثواب ولا عقاب (مر ١٢: ١٨-٢٧).

غالبية الكهنة من الصدوقيين. فقد كان في الهيكل، في تلك المرحلة، عشرين ألف كاهن. وكان رئيس الكهنة -عادة- صدوقياً. وإلى جانب ذلك، كان الصدوقيون أغنياء، أرستقراطيين، سياسيين متعلمين. ولعلك تدرك العلاقة بين الكهنة والغنى.. وارتباط الكهنوت والسياسة، صورة كانت قائمة في عهد السيد المسيح.

فعندما تحدث المسيح عن الأغنياء، كان يشير إلى أغنياء المجتمع، كما كان يشير إلى أغنياء الصدوقيين. والربط بين الكهنوت (الدين) والسياسة (الدولة) كان واضحاً في هذا الحزب.

Roetzal . op . cit . , p . 29 (٣٦)

Pentcost . op . cit . , p . 553 (٣٧)

(٣٨) المرجع السابق. ص ٥٥٦

تمسك الصدوقيون بشريعة العهد القديم، واهتموا بتطبيقها حرفياً. وبذلك، اهتموا -مثلاً- بتقديس يوم السبت حرفياً. لكنهم رفضوا الشريعة الشفوية التي اهتم بها الفريسيون.

كان للصدوقيين مكان في السنهدريم . وكان رئيس الكهنة، رئيساً للسنهدريم. فهم من عليّة القوم في المجتمع اليهودي. ولذلك كان لهم علاقة مباشرة بالدولة الرومانية. فتحالف الصدوقيون مع الرومان، لصالح الطرفين، على حساب الدولة والشعب.

اصطدم بهم السيد المسيح، عندما جاءوا يسألونه عن القيامة. فذكروا له عن زوجة مات زوجها، فتزوجها أخو زوجها، ومات الثاني، فتزوجها أخو زوجها الثالث، ومات الثالث، وبذلك تزوج الإخوة السبعة هذه الزوجة. وكان سؤال الصدوقيين: لمن تكون هذه الزوجة في القيامة؟ (متى ٢٢: ٢٣-٣٣، مرقس ١٢: ١٨-٢٧، لوقا ٢٠: ٢٧-٣٦). ولما كان الصدوقيون لا يؤمنون بالقيامة، فأرادوا أن يعرفوا رأيه، أو أن يخرجه. وكانت إجابة المسيح أنه في القيامة، لا يزوجون ولا يتزوجون.

كما علق المسيح على رأي الصدوقيين، عندما أجابهم بسخرية أن: الرب إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب، ليس هو إله أموات بل إله أحياء . ولم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء (لوقا ٢٠: ٣٧-٤٠). فإن كان الله إله أحياء، فلا بد من خلود النفس، وقيامة الأموات.

وبعد الحراب الثاني للهيكل في عام ٧٠ م، اختفي الصدوقيون كلية،

فوظيفة الكهنوت والهيكل، لم تصبح قائمة (٣٩).

كان الصدوقيون حرفيين فى تطبيق شريعة العهد القديم، بينما كان الفريسيون حرفيين فى تطبيق شريعة العهد القديم والشريعة الشفوية. كان الفريسيون أسهل فى عقاب الخطأ من الصدوقيين (٤٠). اهتم الصدوقيون جداً باستقرار الأمن.

كره الصدوقيون المسيح، لأنه آمن بالقيامة من الأموات، وبالحياة الأبدية، وبالثواب والعقاب. لكنهم لم يتعرضوا له.

ولم يعيروهم التفاتاً - فكان مركزهم وسلطانهم يعاونهم علي أن يثبتوا فى موقعهم، دون التعرض للمسيح. ولكن الوضع تغير كلية، عندما تعرض المسيح لهم، وهاجمهم. ولما كانوا أرباب السلطة، فلم يحتملوا هجوم المسيح عليهم، ولم يقبلوه على أنفسهم، فهاجموه. ولعل المسيح كان يدرك تماماً ما يعمل. فعندما هاجم المسيح الفريسيين، كان يلقي منهم الهجوم العادي، ولكنه عندما هاجم الصدوقيين، تغير الوضع.

كانت ثورة المسيح لتطهير الهيكل ثورة ضد الصدوقيين، عندما قلب المسيح الموائد، وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: بيتى بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. فعندما اعتدى المسيح عليهم مباشرة وعلناً، واعتدى على رأس مالهم، دبروا له مكيدة جثسيماني، من خلال يهوذا

(٣٩) المرجع السابق - ص ٥٥٥

(٤٠) المرجع السابق - ص ٥٥٦

الإسخريوطي، وقبضوا عليه وقدموه للمحاكمة. وارتباط الصدوقيين بالحكم، وبالرومان، عاونهم على صياغة الحكم ضد المسيح.

وعندما جاء المسيح للمحاكمة، كان الفريسيون يحقدون عليه. فاتفق الأضداد : الفريسيون والصدوقيون، عليه في المحاكمة، ليتخلصوا منه. والصورة هنا واضحة، فليس للشعب مكان. ورأى الشعب لا يقيم وزناً. فمتى أراد الحكم تحقيق هدف معين، حققه.

الكتبة :

علماء محترفون، عرفوا التوراة، وفسروا الشريعة. تعود وظيفة الكاتب، إلى عهد عزرا النبي في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد^(٤١). عاد عزرا من سبي بابل إلى الأرض المقدسة في حوالي عام ٤٥٨ ق. م. وكان السبي قد استمر (٥٩٧ - ٥٣٧ ق.م). جمع عزرا الشعب في أورشليم، وقرأ عليهم كل الشريعة، لتجديد العهد بين الله والشعب. كان عزرا كاتباً ماهراً (عزرا ٧: ٦، ١١).

ارتبط الكتبة بالهيكل قبل السبي البابلي (أى قبل ٥٩٧ ق.م). وكان لهم مراكز الشرف في المجمع، وأعطاهم الشعب سلطان التفسير والشرح للشريعة (مرقس ١٢: ٣٨، ٣٩). وعندما كان الناس يسألون عن سلطان المسيح، كانوا يتحدثون عن سلطان التعليم الذى للكتبة، ولم يكن يسوع المسيح واحداً منهم.

كان للفريسيين كتبة، وكان للصدوقيين كتبة. فعندما يتحدث الوحي عن

Roetzal . op . cit , p . 32 (٤١)

الكتبة والفريسيين كان يشير إلى كتبة الفريسيين مع الفريسيين (مرقس ١٦: ٢).

دخل الكتبة عضوية مجمع السنهدريم الأعلى، ليس بلقب كتبة، بل بلقب «فريسي» أو «صدوقي». ولما كان مجمع السنهدريم مجمعا للشئون القانونية، فقد كان وجود الكتبة فيه هاما (٤٢).

اعتبر اليهود الكتبة، علماء الشعب ومعلمون للناموس (لوقا ١٧: ٥، أعمال الرسل ٣٤: ٥) (٤٣). انتقادات كثيرة وجهها السيد المسيح للفريسيين، كانت أساساً لكتبة الفريسيين (لوقا ١١: ٤٦-٥٢ و ٤٦: ٢ و ٤٣: ١١). فكل الإشارات إلى القوانين العسرة في تطبيقها، والتعالي، والسعى للأولوية، والحكم على أنبياء أبرار بالإعدام، حتى سماهم المسيح "قاتلوا الأنبياء" (متي ٢٣: ٣١).

وقد كان الكتبة يتقدمون على العلمانيين من الفريسيين لعضوية السنهدريم، وكانوا في الأغلب يحظون بها. (٤٤)

ومن الكتبة نيقوديموس (يوحنا ٣: ١ و ٧: ٥)، وغملائييل الأول (أعمال الرسل ٣٤: ٥)، وابنه سمعان. وبولس الرسول كان منهم (أعمال الرسل ٢٥: ١١، الذي اشتغل في المحكمة الجنائية (٤٥).

Pentcost op . cit ., p. 551 (٤٢)

(٤٣) المرجع السابق - ص ٥٤٩

(٤٤) المرجع السابق - ص ٥٥٢

(٤٥) المرجع السابق

الأسينيون

مجموعة من مزارعين وحرفيين، عاشوا فى البرية. درسوا الوحى. اجتمعوا فى المجمع يوم السبت. وقدسوا السبت^(٤٦) سمو بالاسينيين Essens.

كانوا يذهبون لعملهم مبكراً، ثم يعودون حوالى الحادية عشر صباحاً، يأخذ الواحد منهم «الحمام الطقسي»، ثم يجتمعون معاً. وكانوا يلبسون الملابس البيضاء، ثم يشتركون فى غداء جماعى. لم يكن الغداء فريضة، لكنه كان شركة تحمل معنى دينياً.

عاش الأسينيون حياة بسيطة. لم يكونوا يسمحون بسهولة لشخص يدخل بيتهم، إلا بعد اختبار شديد لمدة قد تصل إلى عامين أو ثلاثة أعوام. حفظوا السبت وتمسكوا بما جاء فى الشريعة الشفوية. الأكل، والنوم، والعمل، والصلاة كلها ممارسات طقسية فى نظرهم. كانوا يرفضون القسم، ويطالبون بعدم البصق فى المجمع، وعدم النوم فيه. وضعوا حدوداً للضحك. رفضوا عرى الجسم. طالبوا بأن يكون الإنسان صادقاً عندما يتحدث عما يمتلك.

لم يكن لهم مكان سياسى. فهم جماعة متواضعة، تعيش التقوى الطقسية، فى بساطة وهدوء، ودون مظاهر. وكان عددهم قليلاً جداً^(٤٧).

الغبيرون :

ظهر الغبيرون zealots من اليسار الفريسي. ومن كبار زعماء الحركة

Roetzal . op. cit., p. 35 (٤٦)

Edersheim Sketches. p. 245. (٤٧)

المعروفين: يهوذا الجمالا Judas of Gamala الذى ظهر فى عام ٦ م. ثم يوحنا جيشالا John of Gishala الذى ظهر فى عام ٦٦ م، وقاد حركة أسقطت أورشليم فى عام ٧٠ م. كان يهوذا ويوحنا جليليان. (٤٨)

كان أول ما أثار الشعب حركة إحصاء كيرنيوس، فظهر الغيورون يطالبون بتحرير الوطن من المستعمر الرومانى. طالبوا بعدم دفع الضريبة للرومان. وطالبوا بأن يحمل أعضاء الحزب السلاح.

كان الغيورون قلة، وكان لهم مكان محدود. كان واضحاً أن المسيح تجاوب معهم. لم يحدث صدام بينهم وبين المسيح. يغلب على الظن أن بعض التلاميذ دخلوا حزب الغيورين. فقد حمل بعض التلاميذ السلاح. وعندما هوجم المسيح فى بستان جثسيمانى، قطع بطرس أذن عبد رئيس الكهنة بالسيف. لم يدخل المسيح عضوية الحزب، لكن تفهم المسيح للحزب، وارتباط بعض التلاميذ به، عاون على إعطاء قوة للحزب، هى التى بها دخل الحكم بعد موت المسيح، وعاون على هدم وتخريب الهيكل فى عام ٧٠ م.

الشريعة الشفوية

كانت وصية الله، أن الشعب المختار، يكون «مملكة كهنة» (خروج ١٩: ٦). أخذ الفريسيون هذه الوصية على محمل الجد، وبذلك صارت - فى نظرهم - حياة الشعب، من رجال ونساء، ممارسات كهنوتية وهيكلية. ذكرنا أن الفريسيين، أصحاب المذهب الأضيقي، حاولوا تطبيق الشريعة

Roetzal . op. cit., p. 42 (٤٨)

حرفياً. فقد صاموا، وعشروا حتى النعنع والكمون، وقدسوا السبت حرفياً.

وبذلك واجهوا تفاصيل عديدة، بشأن تطبيق الشريعة الحرفى، وأصدروا "الشريعة الشفوية" التى كانت معروفة فى فترة ما بين العهدين، والتى كتبت فيما بعد. وتعتبر الشريعة الشفوية، هى الميزة الهامة للغريسيين، وبعض ما جاء فيها قد يكون متناقضاً مع الشريعة المكتوبة أو التوراة^(٤٩).

وقد بدأت الشريعة الشفوية أثناء السبى البابلى، واستمرت فى الزيادة والإضافات، فى فترة ما بين العهدين، حتى جمعها بطريرك يهوذا judah فيما سمي بالمشنا^(٥٠). وقد سمي هذا بتقليد الآباء، أو تقليد الشيوخ (متى ١٥: ١-٩ ومرقس ٧: ١-٢٣).

وقد ارتبطت الشريعة الشفوية، بتفاصيل دقيقة، فى أمور عديدة، وهاك بعض النماذج.

- لا يجوز لإنسان أن يستخدم الأسنان الصناعية يوم السبت^(٥١).
- لا يجوز أن تجر كرسيّاً على الأرض يوم السبت^(٥٢).
- الشحاذ لم يكن له أن يطلب مساعدة يوم السبت، ولا أن يستلم أموالاً يوم السبت^(٥٣).
- المرأة لا تنظر إلى المرأة يوم السبت، لئلا ترى شعرة بيضاء، فتقطعها.

Pentcost op . cit . , p p. 545 , 546 (٤٩)

(٥٠) المرجع السابق .

weatherhead . his life& ours P. 94 (٥١)

(٥٢) المرجع السابق

pentcost . op. cit., p. 288 (٥٣)

- لا يجوز إشعال النار يوم السبت.
- السير على الأقدام لا يتجاوز ألفى غلوة.
- وأقيم حوار حول عقدة، هل يجوز حلها يوم السبت أم لا (٥٤).
- وقالوا إن اللحم الذى سيذهب للعبادة الوثنية غير محرم، لكنه متى دخل وخرج صار محرماً، لأنه أصبح ذبيحة لأنه ميت (٥٥).
- وقالوا إن اللبن الذى تحلبه يد وثنية لا يستعمل. وكذلك الخبز والزيت الذى تعدّه أيد وثنية يباع للأجانب ولا يستعمل فى إسرائيل (٥٦).
- وأثيرت مشكلة عن دجاجة باضت يوم السبت، هل يجوز أن تؤكل البيضة أم لا؟ وتحدثوا عن فريسي، رأى امرأة، فسار بنصف عين مفتوحة وأغمض العين الأخرى، لكى لا يرى المرأة، فاصطدم بحائط، وأصيب (٥٧).
- وقدمت وصفات عن السلوك الحميد، ماذا يُعمل مع من يقاطع حديث آخر؟ وماذا يُعمل مع من يضحك بغباء أو بصوت مرتفع؟ (٥٨).
- وارتبطت الشريعة الشفوية بطقوس وممارسات خاصة، مثل: من يلمس جسد ميت يأخذ حماماً طقسياً. وغسيل الأنية يتم طقسياً كما أن غسيل الأيدي طقس للتطهير قبل الصلاة وقبل الأكل (مرقس ٧: ٣، ٤).
- وطقس غسيل الأيدي فى عيد الفصح - على سبيل المثال - كان يُمارس

Roetzal op . cit . p. 30 (٥٤)

Edersheim . sketches. p. 27 (٥٥)

(٥٦) المرجع السابق.

Fosdick, the man from nazareth P.79 (٥٧)

(٥٨) المرجع السابق ص ٣٩

كالآتي: يأتى الماء، ويغسل كل واحد يداً واحدة. ثم يأخذ كأس النبيذ ويشرب، ثم يأتى الماء ثانية، ويغسل كل واحد اليدين، وبعد الشكر لله، يبدأ تناول الطعام^(٥٩).

وامتدت الشريعة الشفوية لتتناول المعاملات الإنسانية. فلا يجوز التعامل مع العشارين والخطاة، لأنهم غير طاهرين، ومنعواهم حتى من الجلوس على مائدة واحدة (مرقس ١٦: ٢). كما رفضت الشريعة التعامل مع المرضى والمعوقين والمرضى نفسياً (المصابون بالأرواح الشريرة)، فهؤلاء - فى نظرهم - أشرار، لا يجوز التعامل معهم. وفى أوقات تشدد الفريسيون لكى لا يعاملوا غير الفريسيين^(٦٠).

وقيل إن اليهودي التقى لا يجلس على مائدة الأُمى (أعمال الرسل ١١: ٣، غلاطية ١٢: ٢). كما قيل إنه إن دخل بيتك أُمى، فلا تتركه وحيداً فى الغرفة، وإلا فإن كل قطعة أثاث فى هذه الغرفة تصبح غير طاهرة^(٦١).

وقد بلغ عدد شرائع المنع ٣٦٥ شريعة، ووصايا التنفيذ ٢٤٨ وصية مما فسروه عن الشريعة الموسوية^(٦٢)، هذا بخلاف الشرائع الإضافية للشريعة الشفوية.

Pentcost . op. cit., p. 308 (٥٩)

(٦٠) المرجع السابق . ص ٣١٠

Edersheim . sketches p.p. 27 , 28 (٦١)

pentcost . op cit . p 311 (٦٢)

رابعاً

مجامع اليهود

السنهدريم

السنهدريم هو المجمع الأعلى لليهود. يرجع أنه يعود إلى عصر موسى، عندما جمع سبعين من رجال إسرائيل، للحكم (عدد ١٦:١١). وكلمة السنهدريم، كلمة عبرية تعنى «جالسون فى مجلس». ليست لدينا معلومات كافية عن السنهدريم قبل عزرا الكاتب، لكن عزرا اعترف به (٦٣).

يتكون السنهدريم من كهنة وشيوخ، برئاسة رئيس الكهنة. ويأخذ دور حاكم كل فلسطين. يناقش الشئون القانونية، ويصدر القرارات اللازمة فى الشئون السياسية والدينية.

عاشت إسرائيل فى أوضاع استعمار عبر سنوات طويلة. وقد ترك السنهدريم أن يعمل فى الشئون الداخلية، التى لا ترتبط بالمستعمر (٦٤) وفى عهد جابينيس Gabinius، الحاكم الرومانى لسوريا (٥٧ - ٥٥ ق.م)، قسم فلسطين إلى خمسة مجامع يرأسها السنهدريم الأعلى. واستمر السنهدريم فى عهد هيرودس، لكنه كان ضعيفاً جداً. وفى عام ٦ م أعطيت سلطات أكبر للسنهدريم بعد موت هيرودس الكبير، وهو سنهدريم العهد

Pentecost . op. cit., p. 557. (٦٣)

(٦٤) المرجع السابق . ص ٥٥٨

الجديد ، الذى تعامل مع المسيح، ثم مع الكنيسة الأولى.

مع ثورة اليهود التى بدأت في عام ٦٦ م، أعلنت الأحكام العرفية، ثم مع سقوط أورشليم فى عام ٧٠ م. انحل السنهدريم^(٦٥).

كان السنهدريم الأعلى يتكون من ٧١ عضواً. ويقال إنه كان يجتمع فى رواق جنوب الهيكل فى مدينة أورشليم^(٦٦).

المجامع اليهودية

انتشرت المجامع اليهودية فى الجليل واليهودية. وكانت المجامع تختص بقراءة كاملة للشريعة على الشعب. لا يُعرف تاريخ المجامع، ولا تطورها عبر الزمن. إلا أن المجامع تأكد وجودها فى عصر عزرا الكاتب^(٦٧). كان الكاهن يقود المجمع فى العبادة والقراءة متى كان موجوداً، فإن لم يوجد كاهن، كان يقود العبادة أحد اللاويين، فإن لم يوجد لاوى قادها شخص آخر من الموجودين.

وكانت الأسفار الخمسة قد قسمت إلى خمسين قسماً، كل قسم يتكون من سبعة دروس. كان يقرأ فى كل مرة قسماً من هذه الأقسام^(٦٨).

وقد بلغ عدد المجامع اليهودية المحلية ٤٨ مجمعاً على الأقل^(٦٩).

(٦٥) المرجع السابق ص ٥٥٩

(٦٦) المرجع السابق ص ٥٦٠

(٦٧) المرجع السابق ص ٥٦٣

(٦٨) المرجع السابق

(٦٩) المرجع السابق ص ٥١٢

الطبقة في المجتمع الذي عاش فيه المسيح

ربط المجتمع اليهودي بين الدين والدولة. فالأحزاب السياسية والدينية اختلطت معاً. وطبقات المجتمع اختلطت معاً. وكان التصنيف عجيباً: فهناك الغنى والفقير، السيد والعبد، الأبرار والخطاة، الرجال والنساء. وقد اختلطت طبقة الفقراء والعبيد والخطاة. كما اختلطت فئات السادة والأغنياء. فلا يمكن للمرأة أن تكون من السادة، كما لا يمكن للخاطيء أن يكون من الأبرار.

فالخطاة - فى نظر الأبرار - يحكم عليهم بالعقاب حسب الشريعة، ولا مكان لهم للتوبة. فدعوة المعمدان لهم بالتوبة، ثم دعوة المسيح بالتوبة لم تكن مقبولة من مجتمع اليهود. والمرأة الزانية ترحم، ولا رحمة لها ولا غفران، فالزانية تعاقب، والزانى لا يعاقب. قال التلمود: «المرأة أقل قدراً من الرجل»، وذكر أن «كلمات الشريعة تحرق أفضل من أن تقدم لامرأة». وتنصح المشنا بعدم التحدث كثيراً مع المرأة. وأعطت الشريعة - قديماً - الزوج بأن يكون زوجاً وقاضياً، فهو يطلق زوجته، ويعطيها كتاب الطلاق.

وفى عصر ما بين العهدين، ظهرت مدرستان: هليل وشمائى. كان هليل أكثر تزمناً، وشمائى أكثر تحملاً. وكانت مدرسة شمائى مشهورة فى أيام المسيح. ولناخذ على سبيل المثال: طالبت مدرسة هليل بتطبيق الزوجة إن

أفسدت الطعام، أما مدرسة شمّاي، فلم تسمح بتطليق الزوجة إلا لعلّة الزنى. إلا أنها أضافت، أنه إن رأى الزوج امرأة أخرى، واستحسنها، له أن يطلق الأولى ويتزوج من الثانية. إلا أن المدرستين كلتيهما سمحتا للزوج أن يطلق الزوجة، وليس العكس (٧٠).

وكعادة الشعب حاولوا أن يكتشفوا أى مدرسة يتبعها المسيح. هل هو تابع لمدرسة هليل أو لمدرسة شمّاي؟ وكان واضحاً أنه مرات اتفق مع هليل، وأخرى مع شمّاي. وحقيقة الأمر أنه لم يؤيد مدرسة واحدة معينة.

إلا أن الطبقيّة - فى عصر ما بين العهدين - امتدت لدرجة أن علماء اليهود هاجموا موقف دبورة القاضية، وخلدة النبية. فكيف تأخذ المرأة مكانة ترأس فيها الرجل؟ وهم ينادون أن المرأة للبيت، لتحفظ طاهرة، وعند الزواج فهي للنسل فقط.

بل إن اليونانيين والرومانيين اتفقوا مع كثير من نظم الطبقيّة التى كانت سائدة فى عصر السيد المسيح. فالمرأة ملك الرجل، وهى تعامل على أنها سلعة لا إنسان، وهى تغطي الرأس بالشال. ولم يكن للحجاب فى تلك الأيام مكان.

فساد المجتمع

ساد الفساد بكل ألوانه فى المجتمع الذى عاش فيه السيد المسيح. فساد السلطة والمتسلطين، وفساد رجال الدين، واستخدام الهيكل للمصالح

(٧٠) المرجع السابق . ص ٥٤٧

الشخصية، وإهمال مصالح الشعب، وعدم الاهتمام بخدمته. وكانت الصورة التى قدمها السيد المسيح للسامرى الصالح، بالمقارنة مع الكاهن واللاوى، صورة نموذجية للفساد الذى استشري فى المجتمع، فى عصره.

ورغم ذلك، كان الكل يهتمون بالطقسية. فالفريسيون، والصدوقيون والأسينيون، كلهم كانوا حرفيين، اهتموا بتطبيق الشريعة حرفياً، وممارسة طقوسها دون تعديل. وأضاف الفريسيون الشريعة الحرفية، بكل ما فيها من عقد وقيود.

وظهر من وراء ذلك ممارسات الحياة اليومية، كالاغتسال، التى أصبحت طقساً يمارس. وكان هناك الطعام الطاهر وغير الطاهر، إلى غير ذلك. مارسوا الفساد، وغلّفوه بالروحانية وبالطقوس، فاخترقوا الفساد، فى نظرهم وظهر الطقس.

هذه صورة حقيقية للتطرف الدينى، فى أسوأ مظاهره. صورة شاهدها السيد المسيح، وعانى منها وبسببها، وتآلم من أجلها. كان الهيكل قائماً فى عهده، كما كانت تمارس العبادة فى الجامع. وكان الفساد ينخر فى عظام المجتمع كله.

تضايا ثورية

في أقوال وأعمال السيد المسيح

تقديم

قبل أن ندرس أقوال وأعمال السيد المسيح، لنستخرج منها، مبادئه الفكرية والمعاني التي أراد أن نفهمها، ونحيا بها، نحتاج أن ندرس بشئ من الوضوح مسألتين:

(١) من هو المسيح ؟

نريد أن نتعرف عليه، وعلى دوره. وأى المدارس العلمية تنطبق عليه؟

(٢) ما هى القيم التى نادى بها السيد المسيح وكيف نفسرها؟

نريد من هذا أن نعرف كيف نفسر أعمال وأقوال السيد المسيح، لنكون أقرب ما يكون إلى فكره.

وبعد ذلك تناقش بعض القضايا.

100

100

100

100

100

100

100

100

من هو المسيح ؟

سؤال غريب !

من هو المسيح ؟

لست أتحدث هنا عن ولادته، وتبعيته لوالديه، أو لمجتمعه، أو للدولة التى نشأ فيها. ولست أتحدث هنا عن رسالته فى مضمونها ومحتواها. لكنى أحاول أن أكتشف «لون» دور المسيح، فى المجتمع الذى عاش فيه. وبالتالي أحاول أن أرى، ما هو دوره بالنسبة لمجتمعنا المعاصر.

تحدث المسيح عن نفسه أنه كارز (مرقس ١: ٣٨)، عندما قال إنه سيذهب إلى القرى المجاورة، لإعلان البشارة. وتحدث عن نفسه كنبى عندما أشار أنه «ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه» (متى ١٣: ٥٧ و مرقس ٦: ٤ ولوقا ٤: ٢٤). وتحدث عن نفسه كمعلم فى إشارات عديدة، وتحدث إليه كثيرون على أنه معلم (مرقس ٩: ١١، ١٧ و ١٨، ١٩: ١٤، ٤٥: ١٤ ومتى ٢٦: ٢٥، ٢٦: ٤٩).

وتحدث المسيح عن نفسه كمن جاء ليخدم، وليبحث عن الضال، ويحرر الإنسان، وليخلص من الهلاك، وليدعو الخطاة (مرقس ١: ٤٥، ولوقا ٩: ٥٦ و ١٩: ١٠). وكل هذه تصلح ألقاباً له. (٧١).

ربما يكون من المناسب أن ندرس دور المسيح، من خلال أسلوبه، وعمله، وحواراته، وأحاديثه، لعلنا ندرك لون الشخصية، وما أراد أن يحققه فى العالم، فى مجيئه، منذ قرابة ألفى عام.

Barclay . The mind of jesus pp. 142 - 144 (٧١)

تحدثوا عن المسيح بأنه "معلم". وجاء البعض للمسيح يتحدثون إليه على أساس أنه معلم، كما رأينا. إلا أن المسيح، لم يسلك الطريق التقليدى لمعلمى اليهود، ليصبح معلماً. ولم يمارس المهنة كمعلم لليهود، يتتلمذ على يديه الآخرون بالأسلوب التقليدى الشائع فى تلك الأيام. وقد كان المعلم يقوم بعمله قاصراً على التعليم فقط. لكن السيد المسيح كان أكثر من معلم، فقد كان عمله -الميدانى- بين الناس أكثر من تعليمه. فلم يكن المسيح معلماً بالمعنى اليهودى التقليدى، ولم يكن دوره قاصراً على التعليم. وكان تعليمه مرتبطاً بالحياة العملية، أكثر من نظريات الشريعة.

ووصفوا المسيح بأنه "مصلح اجتماعى". وهناك -ولا شك- جوانب فى حياة المسيح يظهر فيها اهتمامه بالإصلاح. إلا أن المسيح لم يهتم بالتنظير العلمى، فلم يكن يهدف إلى وضع نظرية علمية اجتماعية. فقد كان يعلم أحياناً، ويعمل أحياناً أخرى. وحتى التعليم، كان مرتبطاً بعمله الميدانى. إلا أن المفهوم العصرى، للمصلح الاجتماعى، يتضمن أدواراً سياسية، واقتصادية، واجتماعية. ولم يكن هذا دور المسيح تماماً^(٧٢).

والمصلح الاجتماعى، يتعامل مع الجماهير، ومع السلطة، على حد سواء. ومعاملته مع السلطة، تعاونه على اتخاذ القرارات سواء من خلالها أو من خارجها. لكن المسيح لم يكن مصلحاً اجتماعياً، بالمعنى العلمى المفهوم فى العصر الحاضر.

حاول السيد المسيح أن يتفادى التعامل مع الاستعمار الرومانى -أو

Fosdick op. cit. , p. 85 (٧٢)

السلطة الرومانية، باعتبارها السائدة على الحكم فى أيامه. تعامل المسيح مع السلطة اليهودية، لكنه تحاشى التعامل مع الرومان. عندما طُلبت الجزية دفع الجزية. ولم يواجه السلطة الرومانية مواجهة صريحة، إلا عندما أحاله اليهود إلى المحاكمة. وكان المسيح- كما يتضح من أسلوبه- حريصاً على وجود دور فعال له داخل الكيان اليهودى الفلسطينى. كما أنه كان حريصاً على عدم خلط الأوراق.

ويتضح من تصرفات المسيح أنه لم يكن يستريح لوجود الاستعمار الرومانى، فلم تصدر منه كلمة مساندة للمستعمر. كما يتضح تعاطف المسيح مع الغيورين، وتسليح بعض التلاميذ، دليل انخراطهم فى ذلك الحزب. لكن المسيح أراد أن يركز دوره على التعامل مع اليهود كدين وكسلطة. فدوره هذا، كان كبيراً مؤثراً. فلو أصلح الكيان الداخلى، أمكنه أن يواجه المستعمر. وكيف يواجه المستعمر والكيان الداخلى ممزق.

إذن، من هو المسيح؟

كان المسيح "صاحب مدرسة فكر"، و"مصلحاً" فى ذات الوقت. كان يتكلم، وفى كلامه تعليم. ولم يكن الكلام هدفاً، بل كان الكلام يأتى من منطلق المواقف التى يواجهها. فكان يقدم التعليم من خلال المواقف العملية.

وكان المسيح يعمل أكثر منه يتكلم. وكان يتكلم وهو يعمل، وأحياناً يعمل فقط، وصوت العمل أقوى من الكلام. وكان عمله تلقائياً. لم يكن مخططاً من قبل. بل كانت الظروف، والمواقف، من خلال تجواله، تهىء له مواقف الكلام والعمل. خرج إلى الناس، دخل البيوت، جلس مع أفراد أو

جماعات، التقى بالجماهير، وفى كل حالة، كانت الظروف والأحداث هى التى توحى بالكلام أو العمل.

يدخل يسوع إلى بيت الفريسي، فتأتى امرأة خاطئة، تبكى عند قدميه، فتعطيه فرصة أن يتحدث. وكان يسير فى الطريق، فتأتى مجموعة من الفريسيين، يسألونه سؤالاً، فيجيب. وكان وهو سائر، يستمع إلى صوت يناديه، إنه بارتيمائوس الأعشى، فيقف، ويدعو بارتيمائوس، يعمل ويتحدث. فأعلن المسيح مدرسته الفكرية، من خلال أقواله وأعماله.

العمل من خلال الفكر والحوار بطيء، يحتاج لوقت طويل. فربط الإصلاح بالفكر يدفع عجلة العمل بكيفية أسرع. لذا فالمسيح كان يلح على التغيير. إن مذهبه فى ذلك هو "مذهب الفعالية Activism لأنه كان فعالاً Activist، يدعو للتغيير، ومرة استخدم القوة للتغيير. يظهر من هذا دور المسيح كمصلح.

كان المسيح يعمل مع الجماهير، يلتقى بهم كأفراد أو كجماعات، كما التقى بالجماهير فى مناسبات عديدة. لم يطلب المسيح أن يكون فى لقاء مع السلطة. لكن السلطة سعت إليه لتحاوره فى مرات عديدة. وكان لابد له أن يواجه السلطة فى نهاية طريقه، عندما أخذه إلى الصليب. وعندما واجه السلطة، كان واضحاً، صريحاً، قوياً، استخدم أساليب لائقة فى الحديث.

وقد تطرق المسيح لأقوال، كانت جديدة جداً على اليهود فى ذلك الوقت. فمثال "الابن الضال" (لو ١٥: ١١-٣٢) فى مضمونه، كان ثورة صارخة على

اليهود، وعلى تعليمهم^(٧٢). وما نحتاج إليه هنا هو أن ندرك، ما هو الجديد على اليهود فى هذا المثل - وغيره، وكيف فهم المستمعون كلام المسيح، وكيف نشروا أعماله، فى عصرهم. عندما ندرك ذلك، سنفهم ما اتجه إليه المسيح، وما قصده.

فإنه رغم أن المسيح كان تلقائياً فى أحاديثه، كما كان يواجه الأحداث بتلقائية، إلا أنه فى كلامه وأعماله، كان مؤثراً للدرجة التى دفعت الأفراد والمجتمعات إلى التحرك، لاتخاذ إجراءات فعالة وجذرية، لتحقيق الأهداف. فلم يترك المسيح المجتمع فى راحة. كان يتحرك كثيراً، يعمل كثيراً ويعلم. من هذا نرى، أن السيد المسيح، كان صاحب مدرسة فكر، ومصلحاً يلح على التغيير.

نشر المسيح فكره من خلال الممارسة، فأعماله تنطق بأفكاره، ودعا من خلال أعماله، أن ينتقل المجتمع نقلة واسعة، بأن يصلح مساره الخطأ. ثم ساندت أقواله أعماله. وكان يهدف من وراء ذلك إلى تغيير المسار.

(٧٢) المرجع السابق. ص ٤٩

There is a very small number of people who are
not interested in the Bible, and who are not
interested in the Bible, and who are not
interested in the Bible.

There is a very small number of people who are

القيم وكيف نفسرها ؟

نريد أن نكتشف المبادئ، التي ترسم لنا الطريق، ونحن ندرس أقوال السيد المسيح وأعماله، لكي نفسرها. فالواضح أن السيد المسيح، كان يتحدث إلى الناس، من خلال تعبيرات مفهومة لديهم، وفي شئون ترتبط بحياتهم اليومية. لقد وصفنا السيد المسيح، بأنه صاحب مدرسة فكر، ومصلح يعمل لتغيير حياة الناس، الأفراد والمجتمع، الجهاز، والبنية الإدارية. لذا، استخدم المسيح لغة التخاطب التي يفهمها الشعب، ليكون مؤثراً.

ولما كان حديث المسيح وأعماله، مرتبطين بالظروف التي عايشها، والمواقف التي واجهها، فكان حديث المسيح مرتبطاً، بصورة مباشرة، بالسلوك، والعقائد، والطقوس، والأفكار، والتقاليد والعادات، التي عاشها الناس في حياتهم اليومية.

ومن أقوال المسيح أو أعماله، نرى أنه مرات كان ثائراً، ومرات أخرى كان هادئاً، أحياناً كان ساخراً، وأحياناً أخرى كان عطوفاً، كان يتحدث في شئون قمس الدين، أو المجتمع، أو السياسة، أو الاقتصاد بحسب المواقف التي واجهها.

ولكى نركز على أقوال وأعمال السيد المسيح، نركز في هذا الكتاب، على الأناجيل الأربعة، والأحداث التي وردت فيها.

روحنة النصوص تخرجها عن المعاني المقصودة

ظن بعض الناس أنهم وهم يروحنون النصوص الكتابية، يصلون بها

أعماقاً روحية سامية. وهم فى حقيقة الأمر، يُخرجون هذه النصوص من المعانى الأصلية التى قُصّدت بها.

فعندما قال المسيح: "طوبى للمساكين بالروح"، قالوا: إنه يقصد الخطاة! وعندما قال المسيح: "طوبى للحزانى"، فسروها بأنهم الذين يندمون على خطاياهم. وعندما حول المسيح الماء خمرًا، وصفوها بأنها خمر الروح القدس^(٧٤). والواقع أن المسيح قصد هذه المعانى بعينها. فالمساكين بالروح، يمكن أن يكونوا المساكين روحياً، ويمكن أن يكونوا المساكين اجتماعياً. والحزانى، هم الذين يحزنون حزناً بشرياً عادياً.

"روحنة" المعانى، تبعد النصوص عن الواقع، إلى معان بعيدة. ومن السهل على الناس أن يفسروا المعانى بتفسيرات روحية، لعلهم يبتعدون عن الواقع. فالبعد عن الواقع، يريح الناس نفسياً، وإعطاء معان روحية للواقع، يجعل التفسير فى نظر الناس جميلاً هادئاً. فى الوقت الذى فيه، لو أن التفسير كان واقعياً، لكان أصعب. فالتفسير الواقعى يدفع الإنسان للعمل والتحرك وهذا أصعب.

المدرسة الرمزية فى التفسير

وهناك من يمتد بهم التفسير إلى المدرسة الرمزية: نأخذ على سبيل الذكر مثال السامرى الصالح (لو. ١: ٢٥-٣٧)، الذى قاله المسيح. فالمعنى الرمزى يصف السامرى الصالح بأنه هو المسيح، والدرهمان يرمزان للعهدين

Guthrie , op . cit ., p 58 (٧٤)

القديم والجديد، واللاوى والكاهن، هما الشريعة الموسوية، إلى غير ذلك من التفسير. والواضح أن المسيح لم يكن يقصد ذلك. فقد كان يتحدث عن القريب. لذا كان سؤاله من هو القريب؟ فكانت الإجابة: إنه الذى صنع الرحمة. فالقصة إنسانية. والمقصود بالسامرى الصالح هو الإنسان: أنت وأنا. والمقصود بالدرهمين، حافظة النقود. والمقصود باللاوى والكاهن، أناس يهتمون بالشريعة الطقسية أكثر من الإنسان. وبالتالي تكون القصة مفيدة لى.

لكن المدرسة الرمزية، تُكسب الكلمات معان بعيدة جداً عن أهدافها الحقيقية. وهناك من يتيهون، وهم يتأملون المعانى الرمزية. وهذه المعانى تبعد المثل عن واقعه فالواقع الذى تحدث عنه المسيح، هو خدمة المصاب، والتضحية من أجله بالوقت والمال، وانشغال الكاهن واللاوى بالمراسيم الدينية، وترك الإنسان يعانى ويتألم. القصة بكاملها مشكلة إنسانية. المطلوب من الإنسان أن يهتم بمن يعانى ويتألم، وأن يعطيه شيئاً من وقته وماله. التفسير الرمزي مريح وهادئ، وبعيد عن الإنسان. أما التفسير الواقعى فيدفع الإنسان للعمل، ويجعلنا أقرب لفهم المسيح.

عندما نفهم المعانى التى قالها المسيح، كما فهمها أولئك الذين استمعوا إليه، نكون قد فهمنا المسيح تماماً. ثم نرى كيف واجه المسيح قضايا عصره. وبالمقارنة، يمكننا أن نرى كيف نواجه نحن قضايا العصر، بأسلوب المسيح ومبادئه.

فعلى سبيل المثال: رفض المسيح رجم الزانية، التى أمسكت فى ذات

الفعل، وغفر لها خطاياها، وقبل توبتها. والمسيح اليوم يريدنا أن نمتنع عن رجم الزانية، ونحن نرجمها بالتشهير والإساءة والتشويه. ويريدنا أن يتسع صدرنا لتقبل توبتها.

وعلى سبيل المثال أيضاً. وقف المسيح مع السامرية، وتضايق اليهود لأنه يقف مع امرأة. وبذلك أراد المسيح أن يعطى المرأة مكانها المحترم فى المجتمع، ورفض احتقار اليهود واليونان والرومان للمرأة. عامل المسيح المرأة على أنها إنسان مساو للرجل. ونحن مطالبون بذلك.

معنى ذلك، أننا نأخذ من أقوال المسيح وأعماله القيم والمبادئ التى قدمها، لتكون نبزاً لنا، نسير على هديها. فبعض أعمال المسيح لم يرافقها حديث، وبعض أحاديث المسيح ذكرت دون عمل، لكننا ندرس الأقوال والأعمال، لعلنا نكتشف "الاتجاه" الذى يريدنا المسيح أن نسلكه. فنحن لا نأخذ الأقوال بحرفيتها، بل ندرسها فى مجملها. واكتشاف الاتجاه الفكرى للمسيح هو السبيل إلى ذلك.

من أقوال المسيح وأعماله نكتشف اتجاهه الفكرى والاتجاه يرسم الطريق فى المستقبل

أسلوب السيد المسيح، هو الطريق الذى يهديننا إلى معرفة اتجاهه الفكرى. فهناك أعمال مارسها السيد المسيح، لم تكن فى صورتها الكاملة، لأن الشعب -فى عصره- ما كان يقدر على فهمها. لكنه فتح الطريق، بمعنى أنه أرانا الاتجاه، وعلمنا أن نتقدم ونسلك فى الاتجاه الذى رسمه المسيح، خطوات أبعد مما أخذها هو.

أقول على سبيل المثال: الطريق الذى رسمه المسيح للمرأة، عندما تحدث معها فى الطريق، وعندما رفض أن يرحمها الرجل، وعندما أعطاها الفرصة للتعليم الديني عند قدميه، وعندما قبل أنها تقوم بالعمل الكرازى، وعندما وافق على دورها فى نشر رسالة القيامة، إلى غير ذلك... كان كل هذا يمثل "اتجاه" المسيح فى تحرير المرأة. فما فعله المسيح مع المرأة كان ثورة فكرية عارمة ضد اليهود واليونان والرومان فى عصره. لكنه لم يتخذ خطوات أخرى، فالمجتمع الذى عاش المسيح فيه، ما كان يحتمل أعماله الممتدة من أجل المرأة. لذلك وقف المسيح عند هذا الحد. والمسيح ينتظر منا، أن نأخذ خطوات أخرى، من أجل المرأة، ومن أجل مساواتها بالرجل، أكثر مما أعلنه المسيح فى أقواله وأعماله. وما نعمله اليوم يكون تحقيقاً للاتجاه الذى رسمه المسيح.

ترى ماذا كان يفعل المسيح لو جاء اليوم، إلى عالمنا المعاصر؟ هل كان يسير فى نفس الاتجاه؟ لا شك أنه كان يسير فى نفس الاتجاه، بل ويأخذ خطوات إيجابية أكبر، لمساواة المرأة بالرجل.

لذا، فإن أقوال وأعمال السيد المسيح على الأرض ليست "شرائع". فالمسيح لم يعط شريعة، لكنها "قيم" تعبر عن "اتجاهاته" الفكرية. ونحن ندرس القيم، لا من خلال عبارة منفردة قالها المسيح بل من مجموع الأقوال والأعمال، لنكتشف منها اتجاه المسيح الفكرى. فنسير فى نفس الاتجاه.

ولما كانت أقوال السيد المسيح وأعماله، مرتبطة بالواقع، فالواقعية تسود على تصرفات المسيح عموماً. فلا يجوز لنا، الهروب من الواقع، إلى

تفسيرات روحية أو رمزية بعيدة.

لذلك كانت القيم التى أرساها المسيح، يمكن تفسيرها لكل العصور، ولكل الأجيال فى كل العالم. فالشريعة الحرفية، تقصر عن أن تكون شمولية. أما القيم التى ترتبط بالواقع، وتحدد الاتجاه، يمكن تكييفها، مع كل عصر، وجيل، فى كل العالم، عبر التاريخ البشرى.

**دعا المسيح لممارسة التقوي الداخلية
وأعطاهما أولوية علي الشريعة الطقسية**

اهتم المسيح بالتقوى الشخصية الحقيقية، وأعطاهها أولوية علي الشريعة الطقسية. من الدراسة السابقة، يتضح لنا أن الفريسيين كانوا محافظين، والصدوقيين كانوا أكثر تحمراً، ورغم اختلافهم، فالكل كانوا حرفيين فيما تمسكوا به.

صنّف المسيح الشرائع -فى عهده- إلى شرائع جوهريّة وهامشيّة، فالشرائع الجوهريّة لها أهمية وأولوية على الشرائع الهامشيّة. ورفض المسيح التطرف الفكرى الذى ارتبط بالشريعة الشفوية، كما رفض الإرهاب الفكرى الذى ارتبط بتطبيق الشرائع.

وهاك بعض النماذج :

(١) رفض السيد المسيح الشريعة الحرفية بشأن يوم السبت، وأراد أن يكون السبت يوماً لعمل الخير

كان يوم السبت بالنسبة لليهود ركناً أساسياً لعقيدتهم وإيمانهم. اهتم كل اليهود، بكل فرقهم بتقديس يوم السبت. فالنص بالنسبة للسبت كشريعة ورد فى العهد القديم، كما وردت تفسيرات عديدة له فى الشريعة الشفوية للفريسيين. وكان الواضح أن كل طوائف اليهود تهتم بتقديس يوم السبت بحرفيته، ومفهوم التقديس أنه لا عمل.

فما عمله السيد المسيح كان ثورة صارخة ضد نظام عام، لمس كل اليهود، وكل فرقهم^(٧٥). وقد أثار هذا عليه السخط من جوانب عديدة.

Ainger, jesus our contemporary . p . 44 (٧٥)

قام السيد المسيح يوم السبت، بشفاء صاحب اليد اليابسة (مت ٩: ١٢-١٣ و مر ٣: ١-٥). أثار هذا كثيراً من السخط على المسيح. فقال المسيح لهم: "أى إنسان له خروف سقط فى حفرة، أفما يمسكه ويقيمه.. فالإنسان، كم هو أفضل من الخروف. إذاً، يحل فعل الخير فى السبوت" (مت ١٢: ١١ و ١٢).

ويحدثنا الإنجيليان (مت ١٢: ١-٥ و مر ٢: ٢٣-٢٨)، أنه، عند توجيه اللوم للمسيح، لأن تلاميذه قطفوا السنابل فى يوم السبت، وكان ذلك -فى نظرهم- مخالفاً للشريعة، اقتبس المسيح من العهد القديم، ما فعله داود الملك، حين جاع، هو والذين معه، كيف دخل بيت الله، وأكل خبز التقدمة، الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط. ثم علق المسيح أيضاً أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء.

كسر المسيح السبت، لكنه لم يقصد إهمال العبادة. فقد قصد تطوير مفهومنا عن السبت ليصبح يوماً لفعل الخير. ولم يقصد المسيح كسر كل الشرائع أو الطقوس، فهناك طقوس أو نظم لم يرفضها (لوقا ١١: ٤٢). لقد أراد المسيح أن يحرر الناس من التقيد الحرفى المفرط بالقانون Legalism، فالتقيد الحرفى بالقانون ما أنقذ إنساناً، وما حرر مجتمعاً.

ولكن ثورة المسيح ضد النظام الحرفى لحفظ السبت، كانت -فى أعماقها- اتجاهاً جاداً ضد الحرفية، وضد الارتباط والتقيد المفرط بشريعة. كانت هذه الثورة هادفة، وجادة.

(٢) شاهد المسيح كيف استغل المنحرفون الشريعة الطقسية والحرفية وسيلة لإخفاء الانحراف والعقد والكراهية والانتقام

أخذ المسيح مثلاً: "من قال لأبيه أو أمه قريان هو الذي تنتفع به منى" (مت ١٥: ٥، مر ٧: ١١-١٣) والصورة هنا، صورة إنسان لا يكرم أباه ولا أمه، فما كان ينبغي أن يعطيه لوالديه، أعطاه قرياناً للهيكل. فمن الظاهر أنه تقى، لأنه يقدم للهيكل بسخاء، والواقع أنه شرير وكاره لوالديه، يريد الانتقام منهما.

وكان تعليق المسيح على هذا التصرف: "قد أبطلتم وصية الله، بسبب تقليدكم. يا مراؤون، حسنا تنبأ عنكم إشعيا قائلاً: يقترب إلى هذا الشعب بفمه، ويكرمى بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً. وباطلاً يعبدوننى، وهم يعلمون تعاليم، هى وصايا الناس" (مت ١٥: ٦-٩).

وقد صور السيد المسيح، أن وراء أغطية من الشريعة الحرفية، يختص الاختطاف والخبث (لوقا ١١: ٣٩)، والتجاوز عن الحق والمحبة (لوقا ١١: ٤٢). ووصف هؤلاء بأنهم يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل (مت ٢٣: ٢٤)، وأنهم يخفون الخشبة ويتحدثون عن القذى (مت ٧: ١-٥).

فالحرفية المتشددة للقانون كثيراً ما تغطى وراءها الشر والانحراف. وللأسف، فإن كثيرين من المجرمين، اختبأوا وراء ممارسات حرفية، وانضموا لزمرة الحرفيين، ليُبعدوا عنهم الشك، فيما يمارسونه.

إلا أن المتدينين أنفسهم، من وراء اهتمامهم المتشدد بالمظاهر والحرفيات، فهم يخفون مشكلات داخلهم لم يعالجوها، كالكبرياء الروحية، والحقن والكرهية، وغيرها من معانٍ، لا تكشف عن نفسها بسهولة، ولكنها تختبئ وراء مظاهر من التقوى الزائفة.

(٣) رفض المسيح تحويل الممارسات الصحية إلى قوانين دينية، تستخدم في الحكم على الناس

حول اليهود الكثير من الممارسات العادية اليومية، صحية كانت أو اجتماعية، إلى قوانين وشرائع دينية. فهناك طعام طاهر وطعام غير طاهر. وقد رفض المسيح هذا (مر١٥: ٢٣). ورفض المسيح غسل الأيدي الطقسي الذي فرضه اليهود على الشعب (مت١٩: ١٥ و ٢٠). فقال "لأن من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف هذه هي التي تنجس الإنسان، وأما الأكل بأيدي غير مغسولة فلا ينجس الإنسان".

والمسيح في بيت الفريسي رفض أن يغسل يديه (لو١١: ٣٧ و ٣٨). وكان رفض المسيح هنا، رفضاً لنوع الشريعة التي وضعها اليهود.

هناك ظروف مجتمعية، في العهد القديم، وضعت من القواعد الصحية نظاماً في الشريعة. وكان المبرر لذلك عدم تقدم العلم بعد. وتراجع ارتقاء الفكر الإنساني. فلو عدنا إلى سفر التثنية (٢٣: ١٣-١٤)، نجد حديثاً عن المراض وتكوينه، والإنسان قبل دخول المراض يكون غير طاهر، ووضع في الشريعة كيفية تطهير الموقع بعد استخدام المراض البدائي للذكور. مثل هذه الشريعة كانت لها ضرورتها في ذلك الوقت. ولكن بعد التقدم الصحي،

لم يكن للشرعة الإلهية أن تتداخل فى هذا. فالتقدم العلمى، والمفاهيم الصحية، هى - دون شك- من نعم الله على البشر.

وفى الفترة ما بين العهدين، استخدم الفريسيون شعباً من هذه الممارسات، وأعطوها صيغة دينية. وقد رفض المسيح اعطاء هذه الصيغة لشئون صحية. كما رفض السيد المسيح تحويل بعض هذه الممارسات إلى نظام طقسى. وقد تحدثنا آنفاً كيف كانت ممارسة غسل الأيدى تمارس طقسياً.

وما ينطبق على النظم الصحية، ينطبق على نظم المجتمع، وتقاليده، كمعاملة الكبار، والعرف السائد، إلى غير ذلك. أراد المسيح الارتقاء بالقيم الدينية، لتكون هى العلاقة بين الإنسان وربه، وهذه العلاقة تحكم القيم السائدة التى تدير سلوك الإنسان وتصرفه.

(٤) رفض المسيح أن تكون العبادة وسيلة للتمالي

والتباهي والظهور

تحدث السيد المسيح عن الصدقة والصلاة والصوم. وراعه أن كثيرين يحبون الظهور متصدقين، أو صائمين، أو مصلين (مت ٦: ١-١٨). فأصر المسيح أن الصلاة تكون فى المخدع، والصوم خفية، والصدقة دون إعلام، ثم قال: أبوك الذى يرى فى الخفاء، هو يجازيك علانية. فالعلن يرتبط باستيفاء الجزاء، ويأتى من الآب. لكن الإنسان لا يتباهى بما يعمل.

ولا شك أن المسيح لم يمنع مثلاً الصلاة الجمهورية، أو الصوم الجماعى. لكنه أراد أن يعالج مشكلة أولئك الذين يتباهون بالممارسة الطقسية، دون

التمسك بجوهرها.

وتحدث المسيح عن إنسانين، صعدا إلى الهيكل ليصليا، واحد فريسي والآخر عشار. تحدث الفريسي عن تنفيذ الشريعة بحرفيتها، ثم نظر إلى العشار وقال إنه ليس خاطئاً مثل هذا العشار. أما العشار فقد كان يطلب المغفرة لأنه خاطيء. رفض المسيح أسلوب الفريسي المتكبر المتباهي، وقبل أسلوب العشار المتواضع المعترف (اقرأ لوقا ١٨: ٩-١٤).

من هذه النماذج، ومن غيرها من أحاديث السيد المسيح وأعماله نكتشف أن المسيح قدم قيماً جديدة، نحاول أن نراها، ونطابقها مع العصر الحاضر في بلادنا.

قيم جديدة قدمها المسيح

من خلال الدراسة التي تقدمت، نرى أن السيد المسيح أرسى قيماً جديدة، للمجتمع البشرى، ليعيش بموجبها. تعارضت هذه القيم، مع مجتمع اليهود، واصطدمت مع القيادة اليهودية، فى مجالات عديدة.

هذه القيم ترسم أسساً أعمق للسلوك الإنسانى، سواء للأفراد أو للجماعات، كما تضع مبادئ رئيسية لتصرفات الدول والشعوب. ونحن نأخذ هذه القيم من حياة المسيح: أقواله وأعماله.

ولا شك أننا، عندما ندرس بأكثر عمق، نكتشف معانى أكثر وأعماق فى حياة المسيح، تقدم لنا نموذجاً رائداً للسلوك البشرى، ولكننا هنا نكتفى بالقيم التى نذكرها فيما يلى:

(١١) أخطاء الاتجاه القلبي المنحرف أشر من خطايا الجسد

قال السيد المسيح: "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات" (مت ٢٣: ٢٠). قصد المسيح أن البر المطلوب ليس هو البر الذاتى بل البر الذى يتصف بعمق القيم فى نفس الإنسان.

تحدث المسيح عن قوم "يثقون فى أنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين" (لوقا ١٨: ٩)، وذلك عندما تحدث عن الفريسي والعشار، اللذين صعدا إلى الهيكل، فافتخر الفريسي بنفسه، وعبر عن احتقاره للعشار.

أراد المسيح أن تكون القيم التى لها المكان الأول، هى قيم العدل والمحبة والرحمة والإيمان (مت ٢٣: ٢٣). كان الرباء أشر ما تحدث عنه المسيح (٧٦). كان المسيح متشدداً مع المرائين، فكان يردد فى حديثه لهم: "ويل لكم" (مت ١٢: ٣٤، ٢٣: ٢٩) ووصفهم بالرباء (مت ٢٣: ٢٣ و ٢٧)، وبالعمى (مت ٢٣: ١٦ و ٢٤). وفى نفس الوقت وقف مع الذين عانوا بسبب خطايا الجسد. فكان متسامحاً مع الزانية التى أرادوا رجمها، فقال لهم: «من كان منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر»، ثم قال لها "اذهبي ولا تخطئي أيضاً" (يو ٨: ٢-١١).

هذا هو أسلوب المسيح. والواضح أننا فى مجتمعاتنا اليوم، نتصرف كالفريسيين: قساة مع ضعفات الجسد، رحماء مع خطايا الكبرياء الروحية والرباء والإدانة. وهذا الأسلوب لا يرضى المسيح.

فكنائسنا مملوءة بكثير من البر الذاتى. وتجد الكثير من جماعات

Barclay , op. cit . p 136 (٧٦)

المؤمنين يتحدثون عن برهم الذاتي، ويمارسون هذا البر بالحكم على الآخرين. من المشكلات الشائكة، للجماعات المتدينة، كثرة الحكم على الآخرين، لدرجة أن كثيراً من هذه الجماعات، تمزق نفسها إلى جماعات أصغر وأصغر، من كثرة الهجوم والانتقاد الداخلى.

وفى أماكن عديدة، تكونت جماعات صغيرة، منها مجموعات تجتمع فى بيوت. أغلق بعض هؤلاء على أنفسهم، لدرجة أن أحداً لا يقدر أن يدخل إليهم. ووضعوا لأنفسهم شرائع شقوية، يتناقضونها، ويستخدمونها للحكم على الآخرين. هؤلاء امتلأوا بالغرور، لدرجة أنهم ظنوا أنهم وحدهم هم الأبرار، وأنه لا بر خارج مجموعاتهم.

والمسيح، يعطينا النموذج الرائع، وهو يتحدث إلى المرأة، التى أمسكت فى ذات الفعل، ودون أن تتوجه إليه بالتوبة، قال لها: أما دانك أحد؟ وكأنه يقول لها "أنت حرة من دينونة الآخرين لك، حتى وإن كانت إدانتهم متمسكة بشريعة ما".

والذين يظنون فى أنفسهم أنهم أبرار، أتقياء، مكرسون، هل يفحصون ذواتهم، ليكتشفوا ما لديهم من غرور، وكبرياء، وتعالٍ، وإدانة للآخرين؟ إلى غير ذلك.

(٢) التقوى تبدأ داخل الإنسان. فلا بد أن يتفق المظهر مع الجوهر، والشكل مع المضمون، والخارج مع الداخل

أراد المسيح تطهير الدافع الداخلى، فيتغير الخارجى طبقاً لذلك. لذا وجّه

المسيح اللوم للفريسيين قائلاً: "أنتم الآن أيها الفريسيون، تنقون خارج الكأس والقصة، وأما باطنكم فمملوءاً اختطافاً وخبثاً" (لوقا: ١١: ٣٩).

ثم قال لهم: "ولكن ويل لكم أيها الفريسيون، لأنكم تعشرون النعنع والسنداب وكل بقل، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله. كان ينبغي أن تعملوا هذه، ولا تتركوا تلك. ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجمع والتحيات فى الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، لأنكم مثل القبور المخفية، والذين يمشون عليها لا يعلمون" (لوقا: ١١: ٤٢-٤٤).

ولكن الصورة التى يراها المسيح هي أن "الإنسان الصالح، من كنز قلبه الصالح، يُخرج الصلاح، والإنسان الشرير، من كنز قلبه الشرير، يخرج الشر" (لوقا: ٦: ٤٥).

لهذا كان دور المسيح، هو توجيه الإنسان إلى أن يبحث عن الدوافع الأصلية الداخلية. فالقتل يبدأ بالكراهية، فأراد أن يمنع الكراهية. والزنى يبدأ بالشهوة، فأراد أن يمنع الشهوة (مت: ٥: ٢٧ و ٢٨)، والانتقام يبدأ بالخصومة، فأراد أن يمنع الخصومة (مت: ٥: ٣٨-٤٢).

فالخطية، فى نظر السيد المسيح، هي خطأ اتجاه القلب. وهي أيضاً اختلاف المظهر عن الجوهر، الداخل عن الخارج. فالرباء هو أشرف ما يرتكبه إنسان. فالذى يقول إنه ملحد - وإن كان هذا أمراً بغيضاً - إلا أنه أشرف من الذى يتظاهر بالتدين، وهو فى نفس الوقت ملحد. ومن يرتبط بالدين، بسبب مصلحة شخصية، كيهوذا الإسخريوطى، فمتى أحس أن فرصته

للاتتفاع ضاعت، تحول بشدة وبسرعة.

أراد السيد المسيح تصويب الدوافع الداخلية، وتصحيح مسارها، وتقديس اتجاهها. وبهذه الطريقة، يكون الإنسان -عندما يتصرف- صادقاً مع نفسه، صادقاً مع غيره.

(٣) رفض المسيح الشريعة الشفوية

رفض السيد المسيح الشريعة الشفوية التي وضعها الفريسيون واستخدموها في عصره، واعتبرها تطرفاً دينياً لا يجوز استمراره. وصف المسيح ذلك عندما قال لهم: "تركتم وصية الله، وتتمسكون بتقليد الناس" (مر٧: ٨)، وسألهم المسيح قائلاً: "لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم؟" (مت ١٥: ٣).

وقد تحدثنا من قبل عن تفاصيل الشريعة الشفوية عند اليهود، كيف أنها كانت عند الفريسيين أقوى من الشريعة ذاتها، وأكثر أثراً. وقد قادت الشريعة الشفوية الشعب، عبر مرحلة هامة في تاريخه. بل تطورت الشريعة الشفوية لتكون أداة للحكم على الناس: هذا بار، وهذا شرير، والبار هو الذي يطبق الشريعة الشفوية.

ولما كانت الشريعة الشفوية تمس ممارسات ظاهرية، وأعمالاً واضحة، فكان الضابط لدى الناس، هو حكم المظاهر لتطابق الشريعة الشفوية، أما الباطن فلم يكن يعرفه أحد إلا الله وحده. وكثيراً ما كان صاحب الشأن يتغاضى عن مشاعره الباطنة، في سبيل إرضاء المظهر.

وامتدت خطورة الشريعة الشفوية، فكانت الحُكم على المجتمع بأسره.
فوصايا الشريعة عن يوم السبت، كانت تحكم المجتمع كله.

فالمجتمع -ككل- مطالب بتطبيق الشريعة الشفوية، وحفظ السبت. ومن
يُشاهد يمارس غير ذلك، يُحاكم بقسوة. ولم يكن يجرؤ أحد على هذه
الممارسة المخالفة، فمن يفعل هذا، يحكم عليه المجتمع كله بأنه شرير، هذا
بالإضافة إلى عقاب الشريعة.

الشريعة الشفوية فى المجتمع المسيحى اليوم

الشريعة الشفوية مرتبطة بكل الأديان. فكل دين، نجد فيه نوعاً من
"الفريسية"، يحيك له "شريعة شفوية"، مليئة بالتحليل والتحریم. فالفريسية
أسلوب حياة، وأسلوب سلوك، تجدها فى كل الديانات. وفى كل دين، نجد
أولئك الذين يتشدقون بتقوى ظاهرية، يحاولون تحريم وتحليل ما يشاؤون،
فيحاولون تحريم ما يمكن أن يكون حلالاً، ويتشددون. وهم من جانب،
يظهرون أمام الغير أتقياء، ومن جانب آخر، يحكمون على الغير. فيدعون
لأنفسهم بسلطات ليست لهم.

والكنيسة اليوم مليئة بتفاصيل عديدة لشريعة شفوية، أو قل، لشرائع
شفوية. فالشرائع الشفوية عديدة، تختلف من مجتمع إلى مجتمع، ومن بيئة
إلى بيئة. فهناك بيئات تحرم تناول الشاي، وهناك جماعات تحرم على
أعضائها لبس دبلة الزواج، لمجرد أنها من ذهب، وليس الذهب فى نظرهم
حلالاً.

فى بعض هذه البيئات، إن ارتدت البنت البنطلون فهذا حرام، وفى بيئات أخرى للبنات الحق أن ترتدى البنطلون أو الميني جيب. عند البعض مشاهدة التلفزيون خطية، وهؤلاء يرون أن دخول المسرح خطية أو دخول السينما خطية.

يصر البعض على أن النساء فى الكنيسة يغطين رؤوسهن، رغم أن هذا غير مطلوب خارج الكنيسة. ويشترط البعض أنواعاً من الملابس للنساء. بل يمتد الأمر إلى تحديد نظم وشرائع لأساليب التعامل مع النساء، ما هو مرضى، وما هو غير مرضى. ويصل الأمر، فى بيئات ريفية، أن الرجل يتظاهر بأنه لا يتطلع إلى النساء.

فأنت ترى أن البيئة تتحكم فى وضع نظم وتفاصيل الشريعة الشفوية. فهناك مجتمع فريسي فى قرية له مبادئ وقيم تختلف كل الاختلاف عن الشريعة الشفوية التى يمكن أن تضعها جماعة أخرى فى حي راق فى القاهرة أو الإسكندرية، على سبيل المثال. فإنه رغم أن الناس يدعون أن الشريعة الشفوية دينية، إلا أن الاختلافات فى هذه القيم، توضح لك، أنها ليست دينية، لكنها بيئية. والبيئة، هي الحكم الحقيقي الذى يدلى بهذه الشرائع.

وليس غريباً أن نرى أن ما يحدث فى الكنيسة اليوم، هو فى نفس الطريق والاتجاه الذى كان سائداً فى المجتمع اليهودى. حيث كان الفريسي يمتدح نفسه، قائلاً: "يا إله آبائى، أشكرك لأنك جعلت نصيبى فى المدارس والجامع وليس فى المسارح والملاهى^(٧٧)". هذا نموذج من كثير مما يحدث

اليوم فى كنائسنا. فالواضح أن ما كان يحدث من شرائع فى المجتمع اليهودى، لكثير منه نماذج فى المجتمع المسيحى.

ومن عجيب الأمور، أن ممارسات، لا علاقة لها بالإيمان المسيحى، أخذت صبغة دينية. خذ على سبيل المثال "ختان الإناث". فنحن لا نعرف تماماً من أين جاءت عادة ختان الإناث. هناك من يقولون إنه من أصل فرعونى، وهناك من يرون أنه من أصل أفريقى غير فرعونى، إلى غير ذلك. وهناك فئات ريفية تمارس ختان الإناث على أنه يحتوى صفة دينية.

فبعض تقاليد المجتمع المتوارثة، والتى أصولها غير مسيحية، تطورت على مدى الزمن، ومع دخول المسيحية، أخذت التقاليد المجتمعية صفة دينية تستمر. فالتقادات المسيحية الأولى، لم تهاجم بعض العادات المتوارثة فى عصورهم.

بل بعد دخول المسيحية فى دول عديدة، هناك عادات وتقاليد وفدت على المسيحية، فى تلك الدول، أثرت على مسيرتها، فاختلطت بعاداتهم وتقاليدهم، وصارت جزءاً من تراثهم. فعلى سبيل المثال: كانت الكنيسة الأولى تتكون من ١٢ رجلاً وامرأة، يصلون فى عليّة واحدة. وفى عصور معينة، وجدنا الكنيسة المصرية تفصل بين الرجال والنساء. فالنساء جلسن فى مكان علوى فى الكنيسة بينما جلس الرجال فى صحن الكنيسة. ومع مضى الزمن جلس الرجال فى الجانب الأيسر من الكنيسة، بينما جلست النساء فى الجانب الأيمن، ووضعت الحواجز بين الطرفين، ولكنها أزيلت فى فترة متأخرة. ولا يزال البعض يعتبر هذه ممارسة دينية، وهى فى صميمها

فعبير التاريخ وضعت شرائع أخذت من نظم المجتمع السائدة، وتقاليد المتوارثة، وأعطيت مسحة دينية، وهى لا علاقة لها بالإيمان المسيحى.

وهناك نظرية يهودية، انتقلت إلى الديانات الأخرى، وهى نظرية أن الدولة هي "أرض اليهودية". بمعنى أن الشريعة الشفوية ينبغى تطبيقها على المجتمع كله. فما يحرمه فرد على نفسه، يحرمه على غيره، وعلى المجتمع كله.

ولو عدنا إلى النظريات الفريسية، أن كل شعب الرب كهنة، وأن المجتمع كله يمثل شعب الرب، فحدود التعامل تقف سيقاً مسلطاً على كل المجتمع، يخضع الكل لها، سواء استراح أو لم يسترح. معنى ذلك، أن كل نظم الحياة الاجتماعية، صار لها لون دينى. من هؤلاء من حدد نظاماً للضحك، فهناك ضحك حلال، وضحك حرام! إلى غير ذلك من التفاهات!

ينتج عن ذلك مجتمع متشابه، يرغم فيه كل شخص أن يسلك كالآخرين. لا اعتراف بتنوع الأفكار والعقول، ولا اعتراف بتنوع الشخصيات. وانحصار الشخصيات لتكون نماذج تحاكي بعضها بعضاً، بحرفيات دقيقة، تخلق مجتمعاً غير متجانس، كله محاكاة، بعيد كل البعد عن الحقيقة، فالصورة التى نراها، شخصيات، مرغمة -سواء بالتلقين أو بالمحاكاة- أن نعيش على أسلوب معين، دون تفكير أو تقييم للموقف.

الحرية فى المسيح يسوع

لنا حرية فى المسيح يسوع. وقد تحررنا من الشريعة. "فقد متم للناموس بجسد المسيح" (رو٧:٤)، "فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا مُسَكِّين فيه، حتى نعيد بجدة الروح، لا بعثق الحرف" (رو٧:٦)، إذأ «لا شىء من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨:١). ففى يسوع المسيح تحررنا من ناموس الخطية والموت، وصارت لنا الحياة فيه، وبه. ولهذا "فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس، بل تحت النعمة" (رو٦:١٤).

فإن كنا قد قمتنا بالحرية فى المسيح يسوع، فكيف نعود بعد، ونبنى لأنفسنا، ناموساً جديداً، من صنعنا نحن، لكى نضع لأنفسنا ولغيرنا، قوانين عسرة الفهم، وعسرة التطبيق؟

وسوف نتعرض فيما يلى -بشىء من التفصيل- لفكرة ارتباط المسيحي بقيم أسمى من حرفيات شريعة. إلا أنه من الواضح أن المسيح قد حررنا، وبذلك صرنا أحراراً من القيود الحرفية للشريعة.

أما مظاهر "الفريسية المسيحية" التى غرقت الكنيسة فيها، فهى قيود لناموس جديد، أقامه هؤلاء، ليعوقوا الحرية التى لنا فى المسيح يسوع.

من يأكل ومن لا يأكل

نتعرض هنا لدراسة، جاءت فى العهد الجديد، تشرح لنا نظرية "الحرية التى لنا فى المسيح يسوع". فما هى هذه الحرية؟ وكيف نمارسها؟ وما

لقد ظهرت مشكلات عديدة، فى الكنيسة الأولى، كان من أكبرها، مشكلة الأكل من لحوم ذبحت للآلهة الوثنية. ونحن نحاول هنا أن ندرس كيف واجه الرسول بولس هذه المشكلة.

وهذه المشكلة -مشكلة الأكل من لحوم ذبحت للأصنام- ليست مشكلة فى مجتمعنا المعاصر. إلا أن معالجة الرسول بولس للمشكلة، يرينا كيف نواجه مشكلات من هذا النوع فى عصرنا الحاضر.

وقد تعرض الرسول بولس لهذه المشكلة فى رسالته إلى أهل رومية (رو١٤) ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠: ٢٥-٢٨).

ولهذا الحديث خلفية. فقد نظمت الشريعة الشفوية اليهودية أن اللحم الذى يذهب للعبادة الوثنية غير محرم، لكنه من دخل، وخرج صار محرماً، لأنه استخدم ذبيحة لإله ميت (٧٨). وهنا نكتشف أيضاً، كيف أن مشكلات خرجت من اليهودية، استمرت فى المسيحية. ففى اليهودية، كانت المشكلة هى الصراع بين شعب الله المختار والأمم، أما فى المسيحية، فكان لها مدخل آخر. فكثيرون من الذين تعبدوا للوثنية، دخلوا الإيمان المسيحي. ورغم اختلاف المواقفين، فالمشكلة متشابهة.

وقد ظهرت رومية، وفى كورنثوس مشكلة الأكل مما ذبح للأوثان. فكلما كانت المشكلة قائمة فى اليهودية، انتقلت إلى المسيحية. فالواضح أن

(٧٨) المرجع السابق. ص ٢٧

الذبيحة، كانت تذبح باسم إله وثنى. وكانت المشكلة، أن التعاطف الإنسانى، مع عبادة الوثن التى عاش فيها الإنسان سنين عمره، قد يرى اللحم، ويعود لعبادة الوثن.

من هذا كانت فكرة أكل اللحم، لا مجرد شئ طارئ، سطحى، بل أمر هام جداً، يمس استمرار الإنسان فى إيمانه المسيحى، أو عودته للوثنية.

قال الرسول بولس : «واحد يؤمن أن يأكل كل شئ، وأما الضعيف فيأكل بقولاً» (رومية ١٤: ٢). فلم يرفض الرسول الذى يأكل، ولم ينتقد الذى لا يأكل. ولم يرسم الرسول شريعة معينة. فترك الرسول الحرية لكل فرد أن يختار ما يريد وأن يرفض ما يريد. وللإنسان أن يختار ويحكم على نفسه.

قال الرسول بولس: «طوبى لمن لا يدين نفسه فى ما يستحسنه. وأما الذى يرتاب، فإن أكل يدان» (رومية ١٤: ٢٢ و٢٣). فالإنسان يحكم على نفسه. إن استراح يأكل، وإن لم يسترح لا يأكل. هذا هو مضمون أنه لا شريعة فى المسيحية.

والمنطق الذى يشرحه الرسول، أن الاختيار شخصى، فالذى يشعر، بأنه لو أكل اللحم، الذى ذبح للأصنام، تتحول ميوله، وهو يأكل، فيشعر أنه عاد يمارس العبادة الوثنية فالأفضل، لهذا الشخص أنه لا يأكل مما ذبح للأصنام. فنفس الأكل مما ذبح للأصنام، كان عندهم، هو العبادة ذاتها. أما الذى يجلس على مائدة الطعام، ويشعر بأنه قوى، فى إيمانه المسيحى، وأن الأكل لن يعطيه مشاعر العبادة الوثنية، فله أن يأكل.

لا يزددر... لا يذن

لنا حرية فى المسيح يسوع، ولكل واحد الحرية أن يأكل أو لا يأكل من اللحم الذى ذبح للأصنام. «لا يزددر من يأكل بمن لا يأكل، ولا يذن من لا يأكل من يأكل، لأن الله قبله» (رومية ١٤: ٣). يوضح الرسول بولس هنا، أن الذى يحرم الأكل مما ذبح للأصنام يخرمه على نفسه، ولا يجوز له أن يحرمه على الغير.

والمشكلة هنا هى أن الذى لا يأكل مما ذبح للأصنام، يكون بذلك قد أطاع الشريعة الشفوية، وتمسك بالأسلوب المتزمت، فهو بار، ومتدين، وتقى فى نظر نفسه. أما الذى يأكل مما ذبح للأصنام، فهو حر، قوى فى الإيمان، متفتح، له القدرة على الحفاظ على إيمانه دون تراجع. إنه يجلس، ويأكل، ولا يشعر بأي تعاطف يعيده للوثنية.

والرسول لا يلوم واحداً منهما. فهو يرى أن الأسلوبين سيستمران معاً. سيتواجد عبر التاريخ من يأكل ومن يرفض أن يأكل. سيكون فى الكنيسة فى عصورها المختلفة المتزمت والمتحرر. سيعيش الاثنان معاً. والرسول يريد أن يتركهما يعيشان معاً.

لكن العلاقة بين الاثنين هى المشكلة. فالذى لا يأكل مما ذبح للأصنام، يريد أن يدين الآخر لأنه أكل. وبذلك يسمح لنفسه أن "يجلس على كرسي موسى" (مت ٢٣: ٢)، لكى يحكم على غيره، وليس له أن يمارس هذا. أما الذى أكل مما ذبح للأصنام، فهو مُجْرَبٌ بأن يزددر ويحتقر، ذاك الحرفى الذى رفض أن يأكل.

ويؤكد الرسول أنه لا يجوز أن يدين واحد الآخر، أو يزدرد واحد الآخر، بل يحترم كل واحد الآخر، رغم اختلافهما فكراً وسلوكاً.

ثم يقول الرسول: "من أنت الذي تدين عبد غيرك، هو لمولاه يثبت أو يسقط، ولكنه سيثبت، لأن الله قادر أو يثبتته" (رو ١٤: ٤).

وناقش الرسول بولس قضية أخرى مشابهة: "واحد يعتبر يوماً دون يوم، وآخر يعتبر كل يوم" (رو ١٤: ٥)، ويلح الرسول بولس أن التنوع هنا ليس حلالاً وحراماً، لكنه يمثل الحرية الشخصية التي لنا في المسيح يسوع. والرسول يندعش لأشخاص، لهم حرية في المسيح، لا يمارسونها، أو أنهم، لا يريدون ممارستها، بل أسوأ من ذلك، يريدون أن يحكموا على أنفسهم بالقيود لا بالحرية.

بل يتوسع الرسول بولس في حديثه، لأكثر من ذلك، عندما يقول: "كل ما يباع في الملحمة، كلوه، غير فاحصين عن شيء، من أجل الضمير". (١ كو ١٠: ٢٥). ثم يكرر القول: "وإن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم، وتريدون أن تذهبوا، فكل ما يقدم لكم، كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير" (١ كو ١٠: ٢٧).

وكأنى بالرسول يقول، إنه ليس هناك ما يدعو، لأن نفتش عن المصادر، التي تحولنا إلى قضايا لا داعي أن ندخل أنفسنا فيها.

فالمشكلة هنا، أن الحرفي، قد يظنها تديناً أعمق، إنه يبحث عن مصدر اللحم، هل ذبح للأصنام أم لا. وهو يعمل ذلك قبل أن يأكل منه. وهو يبين

من هذا قمة التقوى. فمتى وجد أن هذا اللحم ذبيح للأصنام، فهو يرفض أن يتناول منه. ويحذر الرسول بولس من مثل هذا التصرف. فإن كان أمامك لحم، وأنت تجلس لتناول الطعام، فالأكل منه لا يدفعك للتجربة.

وقول الرسول بولس: "من أنت الذى تدين عبد غيرك؟" قول رادع. فالذى يأكل من اللحم، ليس عبداً لك، ولا سلطان لك عليه. فلماذا تدينه؟ إنه عبد غيرك، إنه عبد لله. والله وحده هو الذى يدين أو يبرر. والرسول بولس يحدد بصراحة ووضوح أنه ليس لأحد أن يدين غيره.

ومن منطلق هذا الفكر، نرى الحرية التى لنا فى المسيح يسوع. فالفرد مسئول أمام الله مباشرة. ليس لفرد آخر أن يحكم عليه. والإنسان، الذى هو عضو فى جماعة، ليس للجماعة التى ينتمى إليها أن تحكم عليه فى مثل هذه الأمور، فالحكم هو لله وحده.

ولعل الرسول بولس، يريد أن يوضح أن ضمير الإنسان الشخصى هو الحكم. فليس لإنسان أن يحكم على ضمير آخر. فإن استحسن ضمير إنسان أن يتصرف تصرفاً معيناً، فضميره هو الذى يحكم عليه.

وقد قال السيد المسيح: "لا تدينوا لكى لا تدانوا. لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم. ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك، وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفتن لها." (مت ٧: ١-٣).

مشكلة العثرة

الذين يضعون الشريعة الشفوية، فى كنيسة اليوم، يستخدمون بكثرة وبإسراف كلمة "عثرة"، ويكررون القول: "لا تكن عثرة للآخرين". وكلمة "عثرة" تستخدم لمعانى عديدة، غير المعنى الوارد فى كلمة الله. ولعلها صارت سيفاً مسلطاً، يمنع الناس من تصرفات معينة، باسم "العثرة".

ونحن نعود هنا لنرى كيف ناقش الرسول بولس قضية "الإعثار"، وما هو المعنى الذى قصده الرسول. ومن خلال هذه الدراسة يمكننا أن نسترشد بالمعنى المتضمن فى العثرة، وكيف نفهمها؟

ففى نفس استعراض مشكلة الأكل بما ذبح للأوثان، قال الرسول بولس: "فإن كان أخوك، بسبب طعامك، يُحزَن، فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تُهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله" (رو ١٤: ١٥). ثم قال: "حسن أن تأكل لحماً، ولا تشرب خمرًا، ولا شيئاً يصطدم به أخوك، أو يعثر، أو يضعف" (رو ١٤: ٢١).

يوضح الرسول بولس أن التزام المحبة للأخ، يدفعنا أن نهتم به. فهناك مسئولية أدبية وروحية، بين الأخ وأخيه. فإن كان ما يعمل واحد، يسبب عثرة للآخر، فالتزام المحبة يدفع الأول أن يغير من تصرفه، حتى لا يُوقع بالآخر، ولا يسبب له مشكلة.

والالتزام هنا التزام محبة. فلا إرغام فيه. ولا يجوز تحويل المحبة إلى إرغام. إلا أن المحبة مسئولية شخصية. والإنسان، من نبع قلبه المحب

يتصرف بما لا يعثر الآخر.

ونحن هنا نعود للأكل مما ذبح للأصنام، ونرى كيف أراد الرسول بولس أن يعالج المشكلة، بين القوى والضعيف، فى الإيمان، وكيف نظر القوى للضعيف وهو يمارس تصرفات ترتبط بإيمانه القوى.

لا بد لنا أن نوضح أن الرسول بولس أكد على أن الأكل مما ذبح للأصنام لا غبار فيه. قال بولس: "الذي يأكل للرب يأكل لأنه يشكر الله" (رو ١٤: ٦). ثم يقول: "لماذا يُفترى عليّ لأجل ما أشكر عليه، فإذا كنتم تأكلون أو تشربون، أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١). وفسر الرسول بولس ذلك، أن الإله الوثنى أساساً غير قائم، ولا وجود له. فالرب -إلهنا- هو مالىء الأرض وهو الإله الأوحد "لأن للرب الأرض وملأها" (١ كو ١٠: ٢٦). فالذبح للأصنام، هو ذبح لغير الموجود.

أما مشكلة الإعتبار، فهي شيء آخر. فإنه رغم عدم وجود الإله الوثنى، وإمكانية الأكل مما ذبح للأوثان، إلا أن شخصاً ضعيفاً، لو أكل مما ذبح للأوثان، عاد بعواطفه إلى إيمانه القديم، وأنكر المسيحية. فالمقصود بالعترة هنا، ممارسة شيء، يدفع الضعيف إلى ترك الإيمان. فعندما يقول الرسول: "لا تُهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح لأجله" (رو ١٤: ١٥)، فإنه يقصد أن العترة، هى ذلك التصرف الذي يدفع الآخر إلى التهلكة. فالعترة يُقصد بها، أن شخصاً يتصرف تصرفاً، لا يضره هو، ولكن لو مارسه ضعيف الإيمان، لترك الإيمان.

فلو أخذنا مثلاً، مشاهدة مسرحية فى مسرح دنيوى. وهناك شخص

ضعيف الإيمان، لو عرف أنك -كقوى فى الإيمان- شاهدت مسرحية، فماذا يحدث له؟ لا شىء. إن أراد هو أن يشاهد المسرحية، فالمسرحية لن تجعله يترك الإيمان. ولو افترضنا مثلاً، أن القوى، فى بيته تليفزيون. فما المشكلة. لو أراد الضعيف أن يشتري التليفزيون، ويشاهده، فهذه لن تدفعه لأن يترك الإيمان. الإيمان الحقيقي، يدفعك -لا للتحريم والتحليل- بل للاعتدال فى الاختيار، فتختار من التليفزيون ما تشاهده، وما لا تشاهده. أو تتدرب على توزيع وقتك، بين مشاهدة التليفزيون، وعمل شىء آخر.

إلا أن أرباب الشريعة الشفوية، يستغلون فكرة "العثرة" سيفاً مسلطاً على رقاب الناس، لكى يثبتوا أهمية الشريعة الشفوية التى ينادون بها، فيحملون الناس، أشياء عسرة الحمل، لا يطالب الإيمان بها.

لقد كان المسيح حراً، بالمقارنة مع يوحنا المعمدان. قال يسوع نفسه فى هذه المقارنة: "جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً، ولا يشرب خمرًا، فتقولون: به شيطان. جاء ابن الإنسان، يأكل ويشرب، فتقولون: هوذا إنسان أكل، وشرب خمر، محب للعشارين والخطاة" (لوقا ٧: ٣٣ و ٣٤). واضح من حديث المسيح، أن للمعمدان أسلوباً، يختلف عن أسلوبه. فالمعمدان نسكى، كان يخرج إلى البرية، يعيش فيها، له ملبس متقشف، ومأكل محدد. كان يعيش بمعزل عن الناس. لم يرفض المسيح أسلوب المعمدان، ولم يهاجمه. والمعمدان لم يطلب من الناس أن يتمثلوا به أو يحاكونه.

أما أسلوب المسيح فكان أكثر تحرراً. كان يجالس الأبرار والأشرار، ولم يرفض الخطاة الذين رفضهم المجتمع. كان يأكل بحرية ويشرب بحرية،

ويشارك المجتمعات التي يجلس فيها المأكل والمشرب. فاتهمه، الذين اعتبروا أنفسهم أبراراً، بأنه "أكل وشرب خمر" وبأنه "محب للعشارين والخطاة". وجهوا له اللوم. فكيف يكون المسيح متديناً، وهو يعمل هذا؟ وقد صرح المسيح بأنه يعرف هذه الاتهامات التي توجه إليه، ولم يهتم بها.

يجوز لمن يريد أن يختار أسلوب المعمدان، فى المعيشة، ولكنه لا يجوز له أن يظن أن هذا الأسلوب هو القداسة أو البر والتقوى. ويجوز لمن يريد أن يختار أسلوب المسيح. فالأسلوب فى العيشة، هو اختيار شخصى. أما القيم الإيمانية التى تحكم سلوك الفرد، قيم الحق والعدالة والمحبة، هى القيم التى يعتمد عليها. ولا يجوز أن يدين واحد الآخر، أو يزدرد واحد بالآخر، لأجل أسلوب معيشتة.

لا تخط الأوراق

هناك قيم اجتماعية وصحية، تحولت إلى قضايا دينية، من خلال الشريعة الشفوية، لا يجوز خلطها. وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

ينادى البعض بأن كل ما يضر بالصحة خطية. فهناك شخص ينصحه الطبيب ألا يأكل الحلويات لأنها تضر بصحته. فهل نحسب الحلويات خطية؟ إن المهام الصحية صحية، لا نحسبها خطية. والإنسان العاقل يراعى صحته.

هل من مصلحة الإيمان المسيحي أن نربطه بعوامل الصحة؟ أليس الأكرم للإيمان أن يبقى مرتبطاً بالقيم الأصيلة للحياة الإنسانية، قيم الحق والعدالة

والمحبة والرحمة؟ لماذا تقلق من الإيمان، بأن نربطه بأشياء صحية أو معيشية عادية؟

أخذ مثلاً آخر، هو "ملابس النساء". فللباس النساء قدراً كبيراً فى مجتمعاتنا، من الشرائع الشفوية المتداولة، والتي تتحكم فى المرأة، وفى اختيارها للملابسها. بل إن كثيرين من الوعاظ، يتشدقون بربط التقوى بلباس المرأة. والواقع أن كثيراً من الفساد، يرتبط باللباس التى يدعون أنها محتشمة. وكم من فساد يقع وراء الحجاب والبرقع؟!

فلباس النساء -كما الرجال- ترتبط بتقاليد المجتمع وعاداته وحضارته. فأنت تجد امرأة تلبس ملابس تساير العصر، وتعيش فى مجتمع يعتبر ملابسها عادية. لكن ملابسها هذا، لا يقبله مجتمع آخر. فالحكم الحقيقى، هو رأى المرأة شخصياً، وكيف ترى نفسها فى ملابسها، فى المجتمع الذى تعيش فيه. والواضح، أن المرأة لن تقبل -بسهولة- أن تلبس ما يسىء إليها، أو يشوه سمعتها.

وهناك مجتمعات، تختلط فيها التقاليد. فالواضح أن مجتمعات حضارية تشهد فيها مستويات متنوعة من البيئات. بل إنك تشهد هذا، حتى فى مجتمعات ريفية. ففى مجتمع ريفى، ترى الفلاحة بلباسها التقليدية، وترى طالبة، أو طبيبة بلباس متحضرة، والكل يعيشون معاً، فى مجتمع واحد. ومن حق المرأة أن تختار لنفسها، ما تستريح إليه من ملابس.

فالتقاليد المجتمعية التى نتحدث عنها، لا ترتبط بنموذج واحد، وإنما تهدف للأفضل. والواضح، أن الملابس -مع الحضارة- هدفها، أن يكون

الجسم مستريحاً، فتعاون الجسم على الحركة والعمل، وتقلل المعوقات التي تعوق الجسم عن العمل النشط. وملابس الرجال أو النساء، هي الملابس التي تعاون كل طرف أن يكون لائقاً، مقبولاً من الجميع.

فلماذا نحول هذه المشكلة، لتصبح قضية دينية؟ وكيف نعلل بأن فستاناً ما من ترتديه خاطئة، وفستاناً آخر من ترتديه بارة؟ لماذا لا نترك الأمر للقرار الشخصي، فى مواجهة مجتمعه؟

عاش المسيح فى عصر ازدهار الحضارة اليونانية، ومجد الدولة الرومانية. ولم يوجه المسيح لوماً للمسرح، ولا لملايس المرأة. وفى عصر الرسول بولس، تحررت المرأة المسيحية. فلما أرادت المرأة أن تخرج فى المجتمع عارية الرأس، نصح الرسول لثلا يحدث خلط بين المؤمنات المسيحيات والعاشرات، فالعاشرات فى المجتمعات اليونانية خرجن إلى الطريق عاريات الشعر.

سر شعبية الشريعة الشفوية

للفريسية شعبية فى كل مكان، وفى كل دين. فالفريسية سهلة. تدفع إلى الحياة السهلة. وبالتالي فالشريعة الشفوية سهلة، لا تأخذ وقتاً من الإنسان للتفكير والجهد. يريد الناس أن يعرفوا، ما هو حلال، وما هو حرام. إن وجود المشرع والمفتى، فى كل مكان، يوضح للناس ما يعملونه، وما يرفضونه، أمر مريح جداً. وهناك أناس يتطوعون - فى كل مجتمع - أن يقوموا بوظيفة المفتى لمجتمعاتهم.

والوعظ الفريسي سهل. فمن السهولة بمكان، أن يتحدث واعظ عن الحلال والحرام. لا يحتاج لإعمال الفكر، لاكتشاف المعانى والقيم عميقة المعنى. وهناك مستمعون يُسعدهم ذلك. فهم يسمعون، دون أن يفكروا ويتعمقوا فيما يقال.

ترافق الشريعة الشفوية، كبرياء روحية، تعطى الإنسان سعادة عارمة. فالأصولية، والمظاهر التطهيرية، ترافقها كبرياء مع روح التعالى.

ولما كانت هناك عادة سيئة عند البعض وهى أن يحكموا على غيرهم، فالشريعة الشفوية وسيلة رائعة. وقد ظهر أمراء عديدون، يحكمون فى جماعات عديدة من المسيحيين، يسلطون عليهم شرائع شفوية متنوعة، غزت مواقع كثيرة، وأضر بأصحابها. فقادة الجماعات يريدون أن يمارسوا القيادة والسلطة، والشريعة الشفوية تعاونهم على ذلك. كما أن رغبة كثيرين من الناس، أن يكونوا تابعين، تدفع القادة لممارسة سلطاتهم.

وقد أحس كثيرون -عبر التاريخ- بأن قيم المجتمع وسلوكياته. وتقاليده وعاداته، تكون أقوى لو أنها ربطت بالدين. وبذلك يحكم المجتمع أفرادَه بقيم، حوكلها إلى قيم دينية، ليكون الحكم باسم الله.

أما تحديد المشكلات، ودراستها، واختيار الأسلوب الشخصى فى السلوك، وحمل المسئولية شخصية لتصرفات الفرد، فهو أمر صعب، ويحتاج للجهد وتفكير.

وهذه هى نفس المشكلة فى اليهودية. فالشريعة الشفوية فى المسيحية،

(أو فى الإسلام) نابعة من اليهودية. وطريقة صياغتها، أو وصفها، مشابهة كثيراً، فى جوانب عديدة منها، لما فعله اليهود.

الفريسية أسلوب حياة

ليست الفريسية مجرد مدرسة فكرية ظهرت فى اليهودية فى حياة المسيح، فحسب، بل هى مدرسة متواجدة فى الكنيسة عبر عصورها.

والفريسية، موجودة فى كل الديانات، وبالإضافة إلى ذلك، فهى أسلوب حياة متواجدة فى المجتمع الدنيوى. فنحن نرى الفريسية، أسلوباً لنظم حياتية. فكل من يهرب من روح النظام إلى حرفيته، فريسى. وكل من يستغل الدين، ويجلس على كرسى موسى للقضاء، ليحكم على الآخرين، دون أن يحكم على نفسه، فهو فريسى. فالفريسية، تدفع إلى التعالى، وتعطى صاحبها شعوراً بالفرور، والكبرياء على الغير، من متعة الحكم على الآخرين. والفريسية هى التى تقف وراء الروح السيئة، والنفسيات المريضة، والعقول المنغلقة التى فى المجتمع. هؤلاء هم، الذين يحولون الهامشيات إلى أصول، والسطحيات إلى جوهر الأمور.

تعليق ختامى

لقد أطلنا الشرح فيما يختص بالشرعية الشفوية، واقتبسنا تطبيق الرسول بولس لأقوال السيد المسيح فى قضايا واجهت الكنيسة الأولى، باعتبارها نموذجاً لما يقابلنا اليوم.

ونحن لا ننكر، أن نظرية كهنوت جميع المؤمنين، نظرية عامة، شملت

الشعب قديماً، وتشملنا اليوم. فقد جعلنا ملوكاً، وكهنة. ولكن الكهنوت هنا، كهنوت الممارسة العادية، للحياة الإنسانية، دون تكلف. فالفريسيون يسيئون فهم المعانى، ويحولونها -قسراً- إلى شرائع. ونحن لسنا فى حاجة إلى ذلك.

الفريسية، هى أساليب السلوك التى لم يرض المسيح بها. كان المسيح يواجه الفريسيين بالقول: "ويل لكم". أحس المسيح على الدوام، بأن أسلوب الفريسيين لا يتفق مع الإيمان. فكان القدر الكبير من أقوال المسيح خاصة بهم.

(٤) جدد المسيح الشريعة وأكملها

ماذا فعل المسيح تماماً بالشريعة اليهودية؟ لقد كان العهد القديم، هو الكتاب المقدس المتاح والمتواجد فى عصر المسيح. وكان وحده المرجع الرئيسى فى الوحى. أضاف الفريسيون إلى ذلك الشريعة الشفوية لتكون مرافقة للوحى. فماذا عمل المسيح؟

جاء المسيح لا لينقض الشريعة، بل ليكملها. ليس معنى ذلك الإبقاء على كل شريعة العهد القديم. فالإكمال معناه التجديد الشامل، والارتقاء بالشريعة إلى أسمى مضمون.

جاء يوحنا المعمدان، يدعو للتوبة فى البرية، ويعمد معمودية التوبة. وجاء الناس يعتمدون من يوحنا المعمدان. لم يمارس المعمدان نظام الذبائح. فالتوبة هنا لم تشترط نظام ذبائح، كما أوصت شريعة موسى. وجاء المسيح

يدعو للتوبة، على نفس النحو الذي دعا إليه المعمدان. ولم يطلب المسيح تقديم الذبائح للتوبة. وبذلك أكمل المسيح مبدأ "التوبة" وألغى نظام الذبائح فى العهد القديم بكامله.

وتحدث السيد المسيح عن نفسه بأنه أعظم من الهيكل. وبذلك غير المسيح مضمون العبادة. فالإنسان يأتى إلى الله تائباً، والله يغفر له خطاياه، دون حاجة للعودة إلى طقوس العهد القديم، وفرائضه. والإنسان يتعبد لله، من خلال أسلوب جديد، لا يرتبط بالشرعة القديمة. وبذلك أكمل المسيح نظام العبادة، وحدد علاقة الإنسان بخالقه، من خلال مضمون جديد وأسلوب جديد.

كان تلاميذ المسيح لا يصدقون الصيامات التى وردت فى الشريعة الشفوية (مر ١٨: ٢-٢، مت ٩: ١٤ و ١٥).

وعندما سئل السيد المسيح، ذكر هذين المثليين:

"ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة، على ثوب عتيق. لأن الماء يأخذ من الثوب، فيصير الخرق أردأ"

"ولا يجعلون خمرأ جديدة، فى زقاق عتيقة، لئلا تنشق الزقاق، فالخمر تنصب، والزقاق تتلف. بل يجعلون خمرأ جديدة، فى زقاق جديدة، فتحفظ جميعاً" (مت ٩: ١٦ و ١٧).

أراد السيد المسيح أن يوضح، أن وضع رقعة من ثوب جديد على ثوب عتيق، لن تحل المشكلة. فالثوب العتيق ينكمش أكثر مع الاستعمال

والغسيل، فيظهر الخرق أردأ، لأن قطعة القماش الجديدة، لن تتأثر كما يتأثر القماش القديم.

ثم تحدث السيد المسيح عن الخمر والزقاق. والزقاق هو "القرية" المصنوعة من جلد الماعز، والتي كانت تستخدم فى عصره، لتعبئة الخمر. وجلد الماعز عندما يصير قديماً، يجف، ويكون غير قابل للتمدد. لكنه، وهو جديد، يكون مرناً، قابلاً للتمدد حسب الحاجة.

والخمر الجديدة يتم الاحتفاظ بها فترة من الزمن، والقرية القديمة، لا تقبل التمدد الناتج عن التخمر، فتتشقق القرية، ويتسرب الخمر. أما الخمر الجديدة فتوضع فى القرية الجديدة، حيث المرونة الكافية للتمدد.

كان السيد المسيح يجيب عن سؤال عن الصيامات التى كانت قائمة فى عهده. فأراد المسيح أن يوضح مدرسته الفكرية. فقد جاء ليكمل. وذلك بمعنى "الكمال". فلا بد من خمر جديدة فى وعاء جديد. وتعليم المسيح هنا، بمثابة الخمر الجديدة، التى لا بد لها من وعاء جديد. فالفرائض والطقوس والنظم القائمة فى عهده، انتهت كلية، وبدأ نظام جديد، هو "الكمال" بعينه.

كما أراد المسيح أن يوضح، أن تعاليمه ليست رقعة جديدة، على ثوب اليهودية القديم. فلا بد من ثوب جديد.. جدة كاملة شاملة، ترسم الطريق الجديد.

عندما تحدث السيد المسيح عن إنسانيته صعد إلى الهيكل، وجه اللوم لمن طبق الشريعة حرفياً، ولم يوجه اللوم لمن لم يطبق الشريعة، لأن الحكم

ليس فى تطبيق الشريعة، بل فى الشعور بالحاجة إلى الغفران (لوقا ١٨: ٩-١٤).

وعندما شفى السيد المسيح صاحب اليد اليابسة فى السبت (مت ١٢: ٩ و ١٠، مر ٣: ٤)، فإنه وضع نظاماً جديداً، أن السبت يوم لعمل الخير.

فالسيد المسيح جدّد الشريعة، بأن أكملها، وسرى فى موضع لاحق من هذه الدراسة، مكان الشريعة عند المسيح.

ولابد لنا من أن نوضح، أن العهد القديم هام جداً، لأنه الطريق إلى المسيح، ولكن أسلوب المسيح هو الدعوة الحقيقية الوحيدة اليوم. فلا يجوز لنا أن نطبق شرائع العهد القديم لليوم. يمكننا أن نستفيد منها، طريقاً للفكر، واتجهاً لإعلان المسيح.

كما أنى هنا، أعود فأقول، إن تجديد الشريعة، مهمة خطيرة. فتجديد الشريعة، كان يرتبط بالمجتمع الذى عاش فيه المسيح. ومن هذا نرى الاتجاه الفكرى للمسيح، الذى يتقدم فى تطبيقه مع تقدم المجتمع، والعلم، والإدراك البشرى. ونحن نستنبط "الاتجاه" الذى سار فيه المسيح، لنسير فيه، ونتقدم.

**نأر المسيح دفاعاً عن كرامة
الفقير والمظلوم والشرير
وحقوق المرأة**

تمهيد

كانت الطبقة سائدة فى العصر الذى جاء فيه السيد المسيح إلى العالم، فهناك فئات السادة والعبيد، الأغنياء والفقراء، الأبرار والأشرار، الرجال والنساء.

وتستخدم كلمة "فقير" للإشارة إلى الجائع، والعاطل، والمطحون، والذى لا يمتلك شيئاً (لوقا: ٢١-٢٣)، والعريان، والشحاذ، والمديون (مت: ١٦: ٢-٥)، والحزين، والمتألم، والسجين، والمظلوم، واليائس، والمريض (خاصة مرض البرص).

وفئة الخطاة، فى عصر المسيح، كانت تصنف طبقة اجتماعية. وكانت الفكرة، أن أولئك الخطاة مصيرهم إلى الجحيم، ولا مغفرة لهم. لذا نظر "الأبرار" إلى الخطاة على أنهم طبقة أقل من المستوى المحترم.

وفئة النساء، فى عصر المسيح، كان محكوماً عليهن، بأنهن طبقة أدنى من طبقة الرجال، ومركزهن فى المجتمع كان مركزاً محتقراً.

لذلك، فإننا فى هذا الفصل نعالج ثلاث قضايا: ١- قضية الفقراء.

٢- قضية الخطاة، ٣- قضية المرأة.

١ - قضية الفقراء

عاش السيد المسيح الفقراء، فقد كان فقيراً مثلهم. كانت مشكلة الفقر تواجه المسيح، وتلقى منه اهتماماً أكثر بكثير من مشكلة الفريسيين والصدوقيين. كان المسيح يهتم جداً بالتألمين، والمهمشين، والمظلومين، والمديونين، والذين لا مأوى لهم. فعندما اختار المسيح، من يتعامل معهم ويدافع عنهم، اختار الفقراء.

عاش السيد المسيح نفسه، بدون أسرة تحميه، وبدون بيت، وبدون إيراد ثابت، وبدون مستقبل (لوقا ٩: ٥٨).

وفي عصر المسيح كان الفقراء يمثلون الغالبية العظمى من الشعب. فكانت نسبة قليلة من الشعب تمثل الأغنياء. وقد ارتبط الغنى بالكهنة اليهود، كما تواجد في المجتمع بعض الأغنياء، وكانوا أقلية. عاش عامة الشعب يعانون.

وفي الدولة الرومانية تواجد (٢٠٠٠) من اللوردات، كان لهم (١٠٠٠٠٠٠٠) عبد، وفي عصر المسيح كانت الدولة الرومانية شاسعة الأطراف، يقال إن عدد العبيد في ربوعها بلغ ستة ملايين (٧٩).

رفض المسيح أن تكون هناك علاقة بين "المرضى" و "الخطية"، أو بين "الفقر" و "الخطية". فالفقر ليس خطية، والمرض ليس دائماً وليد الخطية (٨٠).

Pentcost . op . cit P.536. (٧٩)

(٨٠) المرجع السابق. ص ٢٨٩

كانت مشكلة الفقراء - فى عصر المسيح - مشكلة كبيرة. ولعلنا نشاهد نفس المشكلة اليوم، فى كثير من الدول. فالفقراء يمثلون الغالبية. ومع ارتفاع أسعار المعيشة، وتطور العصر، وزيادة غنى الأغنياء، فإن الفقراء تزيد معاناتهم كل يوم، ويزيد سوء حالهم.

ونحن نشهد الفقر متمثلاً، ليس فى الفقر المادى فحسب، بل فى الجوع، والمعيشة فى مناطق مليئة بالأمراض المتوطنة وغيرها، ومعاناة الظلم، وبطش أولى السلطة أو الأغنياء أو كليهما، إلى غير ذلك. والأمية مشكلة طاحنة، خاصة أمية المرأة. وهى التى جعلت المرأة تعاني، ولا تقف فى مصاف الرجال فى مجتمعات عديدة. وكم من أسرة تواجه أزمت القوت اليومى، ف للأسرة أطفال عديدون قد يصلون إلى سبعة أطفال أو أكثر، وليس لها ما يكفى لطفل واحد. ولن تقدر هذه الأسرة أن تعطى أى طفل منهم ما يعاونه على حياة كريمة. وكم من أناس، بسبب الفقر، يعانون من الذل والاستعباد.

لا تقدر اليوم أن تتغاضى عن هذه المشكلة. فليس هناك من يرضى بترك هذه الفئة، دون اهتمام واكتراث. فهؤلاء أناس، خلقهم الله، ومات المسيح من أجلهم، يستحقون الحب والعناية، ليكونوا مواطنين شرفاء، على أرض الله.

ولا يجوز لنا أن نحول هذه المشكلة، لتكون قضية هامشية. فكيف يقول إنسان، إن التوبة عن الخطية هى الشئ المهم، والاهتمام بالفقراء أمر هامشى؟ وكيف يقول شخص إن رسالة الكنيسة هى الدعوة للتوبة، ويرفض أن تكون رسالة الكنيسة شاملة خدمة الفقراء؟

المسيح ورسالته للفقراء

أهمل كثيرون، من المتروحنين، رسالة المسيح للفقراء. ظنوا أنه جاء فقط ليرشد الخطاة إلى التوبة. ولكن المسيح جاء أيضاً للفقراء، عاش بينهم، وكانت له رسالة خاصة لهم، ومن أجلهم. وقدم المسيح إنجيل الحرية للفقراء، لتحريرهم (٨١).

فإنجيل المسيح واقعى، يصل إلى الناس فى واقعهم، ويعمل معهم لتطوير واقعهم (٨٢). فالفقراء لهم كرامة، ولا بد من العمل على تجديدهم، لينتقلوا من الظلم إلى العدالة، ومن العزلة إلى معايشة المجتمع، ومن الضياع إلى تمجيد الذات، وكرامة النفس (٨٣). عمل المسيح علي تحطيم قوى التخريب، التى تدمر العالم، وتسبى إلى الناس. فالله أب، للفقراء والمظلومين، والمتألمين والبائسين (٨٤).

الفقر والظلم الاجتماعى

خلق الله البشر متساويين. ولكن سرعان ما تحولوا إلى غنى وفقير، سيد وعبد. وكان الاتجاه، اتجاهاً بشرياً، لا علاقة له بالقصد الإلهى. فقد أراد الله أن يكون الجميع سواسية.

وقد ينسب استمرار الفقر، إلى وجود أغنياء يظلمون الفقير، فى الأجور، أو فى المعاملة. وهناك من يستغلون الفقير لصالحهم، فيعانى الفقير من الذل

(٨١) The moltmann , the way of jesus christ . p. 90

(٨٢) المرجع السابق. ص ٩٩

(٨٣) المرجع السابق. ص. ١٠٠، ١٠٢

(٨٤) المرجع السابق. ص ٧٩

والجوع والألم.

لذا كان حديث المسيح ثورة على الأغنياء الذين يستغلون الفقراء، أو يتركونهم فقراء دون اهتمام، أو الذين لا يعطفون على الفقراء، ولا يعاملونهم المعاملة الإنسانية الكريمة.

أحس المسيح بالألم، لأجل معاناة الفقراء، ووقف إلى جانبهم، وساندتهم بكل طاقاته. وأحس المسيح بالألم وهو يتحدث عن الشخص الذى أخذ ديناً، يحل به مشكلة ما فى حياته الشخصية، ولم يتمكن من سداد الدين، فرهن ثوبه لكى يوفى الدين (مت ٥: ٤).

ولعل المسيح كانت أحشاؤه تَحترق وهو يضرب المثل بذاك الذى اضطر أن يُباع هو وزوجته وأولاده ليوفى الدين (مت ١٨: ٢٣-٣٥، لو ١٢: ٥٨).

فقضية الفقراء، هى بالدرجة الأولى، قضية عدالة. ليكون لهؤلاء ما يرفع عنهم الظلم الاجتماعى الذى وقع عليهم. فهم ضحية أجيال عديدة من مجتمعات ظلمتهم. والظلم هنا قد لا يتحدد فى أفراد معينين، ولكنه يتمثل فى نظم مجتمعية فاسدة، لم تعط الفقراء فرصة لاسترداد إنسانيتهم السليبة.

صورة الغنى الذى لا يرحم

صوّر المسيح جشع الغنى، عندما ضرب مثلاً بالغنى الذى كان الفتات يتساقط من مائدته، وكان يجلس على باب بيته لعازر، الذى كانت الكلاب تلحس قروحه. أراد المسيح أن يصور الموقف، فالغنى يمثل تلك الفئة، ولعازر

يمثل الفقراء. ثم تحدث المسيح عن الغنى فى الجحيم يتعذب، بينما لعازر فى حضن إبراهيم. والصورة كانت تناقض ما عرفه اليهود فى عصر ما بين العهدين، من أن الفقير لا مكان له فى الدين (لوقا: ١٩: ٢١).

وكانت الصورة مثيرة: فلعازر له علاقة مباشرة بإبراهيم، أب المؤمنين، أما الغنى فلا علاقة له به، بل ذهب إلى الجحيم يتعذب. ولا شك أن المسيح أراد أن يقدم صورة ذلك الغنى، الذى لم يارس شيئاً من الإنسانية، مع ذلك الفقير الذى ارتقى على باب بيته.

وتحدث المسيح أيضاً، عن غنى أخصبت كورته، فقال لنفسه، إن له خيارات كثيرة لسنين عديدة. فجاء الصوت: ياغبى، فى هذه الليلة تُطلب نفسك منك (لوقا: ١٢: ١٧-٢١).

ولعل المسيح أراد بهذا أن يصور أن المال لا يعطى كفاية ذاتية. وأن الغنى، الذى لا يهتم إلا بنفسه فقط، هو قصير النظر، محدود البصيرة.

كانت ثورة المسيح على الأغنياء، لأنهم بسبب حبهم للمال، نسوا الفقير. لذلك قال المسيح: "لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (متى: ٦: ٢٤). وقال أيضاً: "إنه يعسر أن يدخل غنى إلي ملكوت السموات" (متى: ١٩: ٢٣).

وتحدث المسيح عن ذلك العبد، الذى أعفاه سيده من الدين الكبير، ولكنه لما خرج وجد شخصاً مديوناً له بدين قليل، فرفض أن يعفيه. فقال له سيده: "أفما كان ينبغى أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك، كما رحمتك أنا" (متى: ١٨: ٢٣-٣٣). والصورة هنا، ترينا فقيراً لا يرحم فقيراً آخر. فالمشكلة

لدى المسيح، هى مشكلة ذاك الذي لا يحس بما يعاينه الفقير، ولا يقف معه.

وجاء غنى إلى السيد المسيح، يسأله ماذا يعمل ليرث الحياة الأبدية. فنصحه المعلم أن يذهب ويبيع كل ما يملك ويعطى الفقراء، فيكون له كنز فى السماء، ثم يتبع يسوع، ولكنه رفض (مت ١٩: ٢٢-٢٣، لو ١٨: ٢٥-٢٦).

لم يكن مطلب بيع الأملاك كلها لكل الناس. فعندما قال زكا إنه يبيع نصف أمواله لم يطالبه المسيح بأكثر (لو ١٩: ٨). ولكن المسيح كان سعيداً، فإن زكا عبّر عن مشاعره تجاه الفقراء، والذين سبق أن سلبهم أموالهم.

وما أراد المسيح أن يوضحه، هو أن الغنى ملتزم ومستول أن يصحح الأوضاع، وأن يقيم العدالة بدلاً من الظلم الاجتماعى، وذلك بتوزيع شئ من موارده، لصالح أولئك المحرومين. والتوزيع هنا ليس من قبيل العطف والشفقة، ولكنه التزام لتحقيق العدالة المفقودة، ورد الظلم.

وقد كان موقف زكا رائعاً، عندما أراد أن يعطى نصف أمواله للمساكين وإن كان قد وشى بأحد أن يرد له أربعة أضعاف، بمعنى أنه يرد الظلم عن أولئك الذين سلبهم وظلمهم. لذلك، كان السيد المسيح سعيداً، أن يذهب لزيارة زكا فى منزله. فإن زكا، عندما تعهد برد الظلم عدالة لأصحابه، حقق أعظم أمانى المسيح.

ولعل صورة الغنى الفاحش، كانت تتمثل فى أغنياء الأرض،

الذين استغلوا الدين ليزيد غناهم. أولئك هم الصدوقيون. فقد عمل الكهنة الصدوقيون على زيادة مصادر الغنى، من جهتين:

الجهة الأولى هى تحصيل ضريبة الهيكل. فالسياح الذين يأتون لأورشليم عديدون. وهم يحضرون ومعهم عملات مالية من بلادهم: عملات فارسية، ومصرية، ويونانية، ورومانية، إلى غير ذلك. والسياح هنا يأتون من كل أنحاء العالم. وعملاتهم عليها صور ملوكهم أو أباطرتهم. فكيف تدخل هذه العملات الشريرة إلى الأقداس؟ لابد من عملة خاصة بالهيكل. فأنشئ "شاقل الهيكل". وعملت مكاتب خاصة لتحويل العملة، كسب منها الصدوقيون الكثير.

والمصدر الثانى، هو ذبائح الهيكل. فالذى يحضر إلى الهيكل لابد له من شراء الذبائح. فأعدوا الذبائح والتقدمات داخل الهيكل. وكان الشعب يأتى للهيكل ويشتري ما يريد، ثم يقدمه. وكانت الذبائح والتقدمات تفحص فى ضوء تفاصيل الشريعة، فى تلك الأيام. فالذى يحضر الذبائح من بيته، قد يحكم عليه الفحص، بأن ذبيحته التى يقدمها غير مناسبة. لذا اضطر الناس أن يشتروا ما يريدون من الهيكل.

وعندما دخل السيد المسيح دار الأمم، فى الهيكل، وهى الدار التى كانت تعج بالسياح والحجاج من كل أنحاء العالم، فهى المكان الوحيد لدخول القادمين، من غير اليهود.. لكنه وجدها مليئة بأعمال التجارة. وكان المسيح يعلم تمام العلم، بأنها تجارة الكهنة. وكان المسيح يدرك تماماً أنه عندما يثور، ستكون ثورته هذه المرة الأيمة، لأنها ستصطدم مع السلطة العليا.

غضب السيد المسيح، قلب موائد الصيارفة، وكراسى باعة الحمام، وقال لهم: "مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. (مت ٢١: ١٢-١٧، لو ١٩: ٤٥-٤٦).

فتطهير الهيكل، كان ثورة عارمة ضد الجشع، واستغلال الناس، لزيادة غنى الأغنياء. نتج عنها -كما ذكرت أنفاً- أن الصدوقيين دبوا للقبض على السيد، ومحاكمته، وصلبه. وهم الذين رتبوا لإطلاق سراح باراباس وليس المسيح.

تقدير السيد للعناية بالفقير

قال السيد المسيح: "من سقى أحد هؤلاء الصغار، كأس ماء بارد فقط، باسم تلميذ، فالحق أقول لكم، إنه لا يضيع أجره" (مت. ١: ٤٢).

وقد وصف السيد المسيح أن خدمة الفقير، هى خدمة له شخصياً. قال السيد: "لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريباً فأويتمونى، عرياناً فكسوتونى، مريضاً فزرتونى، محبوساً فأتيتم إلى.. بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتى هؤلاء الأصاغر، فبى فعلتم" (مت ٢٥: ٣٥-٤٠).

تحدث السيد المسيح عن "الإخوة الأصاغر" على أنهم الفقراء والمتألمون، والجوع، والذين لا مأوى لهم، ولا كساء، والذين يعانون من المرض والسجن. وامتدح المسيح من يقدم كأس ماء بارد، لمن يحتاج إليه. إنهم إخوة السيد.

لمسة إنسانية

فى عرس قانا الجليل، تواجد السيد المسيح. وغالباً كانت هناك علاقة قرابة بين أسرة المسيح وأسرة العريس. وكان الجو كثيباً. فقد اعتاد اليهود، فى هذه المناسبات، أن يوزعوا مشروب النبيذ على الحاضرين. ولكن الأسرة فقيرة، فماذا يمكن عمله؟ وكان المسيح فى مستهل خدمته.

أحس المسيح بالألم، مع مشاعر هذه الأسرة الفقيرة، فصنع المسيح أول معجزة له، عندما حول الماء خمراً. فشرب الناس، وتحول الحفل الكتيب، إلى حفل مبهج (يو: ٢: ١-١١). والواضح من كمية الماء التى تحولت كانت ضخمة جداً بالمقارنة بعدد الحاضرين.

ولا شك أننا نتذكر، تلك المرأة التى جاءت ودهنت بالطيب قدمى السيد المسيح. ولما انتقدها أحد التلاميذ، لماذا لم يبيع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء (يو: ١٢: ٢-٧). فلم تهتم. فالمشاعر الإنسانية غالية، وهامة جداً. ولا بد لنا أن نعطى أهمية خاصة للمشاعر الإنسانية.

فكم تكون قيمة المشاعر الإنسانية، نحو الفقراء، والبائسين، والمظلومين، والمتألمين؟ وكم تكون المشاعر الإنسانية وقيمتها، عندما يرافق التعبير عن المشاعر، مساهمة جادة فى حل هذه المشكلات من جذورها، ليتحقق معها العدالة السليبية.

وماذا عن الفقراء من فئات أخرى؟

تحدث السيد المسيح عن دور السامرى الصالح. فالسامرى شاهد

اليهودى الجريح، الذى سرقه اللصوص، وتركوه فى الطريق بين حي وميت. ولكن السامرى أخذه، واعتنى به، وأنفق عليه. واعتبر المسيح علاقة القرابة هنا، هى علاقة صنع الرحمة، وليست العلاقة العرقية (لو. ١: ٢٩-٣٧).

وفى حديث للمسيح، ذكر مثلين، كانت نتيجة ذكرهما أن اليهود حاولوا أن يمسكوا به ويقتلوه. ذكر المسيح هذين المثلين:

"أرامل كثيرة كن فى إسرائيل، ولم يرسل إيليا إلا إلى امرأة أرملة إلى صرفة صيداء".

"وبرص كثيرون كانوا فى إسرائيل فى زمان أليشع النبى ولم يطهر واحد منهم، إلا نعمان السريانى" (لو: ٢٥-٢٧).

أثار هذا الحديث غضب السامعين. ولكن السيد المسيح تمسك بموقفه. وأراد المسيح أن يقول، إن أليشع ترك كثيرين برص فى إسرائيل. وذهب لشفاء نعمان السريانى، غير يهودى الجنس. وكذلك ما فعله إيليا فى العناية بأرملة صرفة صيداء، وهى غير يهودية.

لا يجوز التفرقة بين الناس بسبب الفقر أو الجوع أو المرض أو الألم. فالإنسان إنسان. وينبغى خدمة الإنسان، أيا كان، متى كان ذلك ممكناً. والسؤال المماثل هنا: هل يرسل روح الله مسيحياً، ليعخدم مسلماً مريضاً فيشفى؟ لو كان يسوع هنا، ما كان يفرق بين واحد وآخر بسبب العرق، أو الدين.

ولا يجوز لكنيسة ما، أن تقصر خدمتها على المسيحيين فقط. بل إن

المشكلة قد تمتد أكثر من ذلك. فهناك من يقصر خدمته على من يسميهم "مؤمنين"، وهم أعضاء كنيسة معينة. وهناك من يشترط للمعونة، دخول فقير فى عضوية الكنيسة، أو -على الأقل- مواظبته عليها. كل هذه الوسائل، أساليب غير كريمة، تزيد من الظلم، ولا تحقق العدالة.

دعوة التحرير من الظلم الاجتماعى

حدثنا السيد المسيح عن دعوة أرسلها صاحب الوليمة، لكن الكبار بدأوا يستعفون. فأرسل السيد، صاحب الدعوة، إلى شوارع المدينة وأزقتها، ودعا المساكين، والجدع، والعرج والعمى، ثم إلى الطرق والسيارات.. وألزمهم بالدخول إلى العشاء. وكان صاحب الدعوة سعيداً بوجودهم فى عشاءه (لوقا: ١٦-٢٣).

أراد المسيح مكرراً، أن يوضح أن مكانة الفقير، هى مكانة الإنسان المحترم. فهو أولاً إنسان، له قيمته وحقوقه كإنسان. وأنه لا يجوز احتقار الفقير، أو الإساءة إليه. وواضح من المثل أن الاهتمام بهؤلاء لذواتهم وليس لاتجاهاتهم. فليس فى الدعوة ما ينص على الانتماء والولاء لصاحب الدعوة. لكن الدعوة لهم، كما هم، دون تغيير فى وضعهم.

وقد أراد السيد المسيح أن يحرر المجتمع من التفرقة العنصرية، التى سادته، عبر سنوات طويلة. فلا سيد وعبد، ولا ذكر وأنثى، ولا غني وفقير، فالكل واحد. لكل قيمة واحدة أمام الله.

ورغم أن المجتمع البشرى لا يزال يمارس التفرقة العنصرية بألوانها، إلا أن

بعض مظاهر هذه التفرقة قد اختفت. فبيع الرقيق انتهى عصره، ولا يمارس اليوم كما كان يمارس بالأمس.

ولابد لنا أن نعمل على الإقلال من التفرقة، وذلك من جانبين: دفع السادة والأغنياء أن يهتموا بالفقراء، وأن يتواضعوا، ومساندة الفقراء، لكي يتمكنوا، ويزداد دورهم في المجتمع، وبأخذوا مكانتهم.

تحرير الفقير

مشكلة الفقير، ليست في الفقر ذاته، فحسب، بل في اعتماده على الغير بسبب فقره. فالفقير يعاني بسبب الفقر. يريد أن يحقق ذاته، ويقف الفقر حائلاً في سبيل تحقيق ذلك. ويظن بعض الناس أن الحل هو في توزيع أموال الخير. لكن القضية بالدرجة الأولى، ليست قضية عطف، بل قضية عدالة.

حرية الفقير هي في استقلاله عن غيره، وتمكينه من أن يقف وحده دون اعتماد على الآخر. فالحرية الحقيقية إقرار للعدالة، ورفض للظلم. ولا تتم الحرية بمعالجة مؤقتة للمشكلات، لكنها تتم من خلال علاج أسباب الظلم والمعاناة. ومتى عالجت أسباب الظلم والفقر، كان العلاج دائماً ومستمراً.

فأفضل أسلوب لتحرير الفقير، هو أن ندفعه ليكافح في الحياة، وأن نشجعه ليجد طريقه، ليخدم نفسه. فتمكين الفقير empowering، ليأخذ مكانه في المجتمع، ويشعر باحترام ذاته، ويكافح لتحقيق ذاته، هو الأسلوب الإنساني الأمثل لتحريره.

تحدث المسيح عن توزيع الوزنات على أشخاص، منهم صاحب الوزنة الواحدة الذي لم يعمل (لوقا ١٩: ١١-٢٧)، ووجه اللوم إليه، فقد كان لابد له أن يعمل، وأن يحقق ذاته.

لعلنا نلاحظ أن السيد المسيح اختار بعض تلاميذه من صيادى السمك (مت ١٨: ٢٢-٢٣). فهم لديهم ما يعملون، فيحصلون على رزقهم بعرق جبينهم.

ما هي رسالة المسيح؟

اقتبس السيد المسيح، ما قاله إشعياء النبى (١: ٦١): "روح السيد الرب على، لأن الرب مسحني، لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسرى القلب، لأنادى للمسيبين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق". والإنجيل في هذه الحالة، دعوة للذين يعانون من أعمال العنف والظلم، ليتحرروا.

فى مثل السيد المسيح عن الغنى ولعازر، يلوم الغنى لأنه لم يهتم بالفقير. ينتج عن ذلك، إن الغنى يذهب إلى العذاب، ولعازر فى حضن إبراهيم. هذه الصورة ترينا، أن العناية بالفقير، ليست مجرد عمل جانبى هامشى، لكنه جزء من صميم الإيمان، والتجاوب مع إنجيل المسيح (لوقا ١٩: ٣١-٣٢).

لا يجوز لنا أن نقلل من أهمية دور المسيح فى الاهتمام بعلاج مشكلة الفقر، والاهتمام بالفقراء. فهى صلب رسالة الإيمان المسيحى.

٢ - قضية الخطاة

قسم اليهود الشعب إلى فئتين، فئة الأبرار، وفئة الأشرار. نظر اليهود إلى فئة الخطاة، على أنهم طبقة منحذرة. ولذا فقد اغتاز الفريسي لأن السيد المسيح لمسته خاطئة (لوقا ٧: ٣٩). وكيف يسمح المسيح للمجدلية، بكل شرورها، أن تتعامل معه؟ وكيف يدافع المسيح عن الزانية التي أمسكت في ذات الفعل، ولا يتركها ترحم؟ (يوحنا ٨: ٢ - ١١).

كان هليل يرى أن عامة الشعب لا يمكن أن يتدينوا. أنكر اليهود رحمة الله التي تغفر لأشر الخطاة. ولعل هذه العقيدة كانت ترتبط بقضاء الله. فكانت النظرة أن قضاء الله على الأشرار والخطاة نهائى، لا رجعة فيه ولا رحمة.

اتجهت الشريعة قديماً، إلى تحويل الخطية من الإنسان إلى الذبيحة، وبذلك يصفح الله عن الخطية ^(٨٥). فالشريعة فى العهد القديم لم تعرف غفراناً رسمياً للخطية. ففى عصر المسيح، كانت الوسيلة الوحيدة لغفران الخطايا، عن طريق التقدم للهيكل، لتقديم الذبائح والتقدمات المطلوبة والتي يتم رفعها عن طريق الكاهن.

الأبرار والأشرار

قال السيد المسيح : لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (متى ١٣: ٩). وكان السيد المسيح يقصد بذلك. أولئك الذين خدعوا أنفسهم ببرهم

Pentcost . op ., cit . p 153 (٨٥)

الذاتى والطقسى. قدم المسيح نموذجاً من ذلك الفريسي الذى صعد إلى الهيكل يصلى، وتحدث عن ممارساته الدينية والطقسية، وامتدح نفسه، وتباهى بأنه ليس مثل هذا العشار (لوقا ١٨). وامتدح المسيح العشار لأنه عرف أنه فى حاجة لغفران الخطايا، ووجه اللوم للفريسي البار، الذى لم يشعر بأنه فى حاجة لغفران خطاياها.

أراد السيد المسيح أن يميز بين من رأوا أنفسهم أبراراً، لأنهم مارسوا الشريعة الطقسية الحرفية، وأولئك الذين رأوا أنفسهم أشراراً، يحتاجون للغفران.

والمشكلة تعود إلى أنه فى عصر اليهودية، عندما ميز شعب اليهود أنفسهم، بأنهم شعب الله المختار، وفصلوا أنفسهم عن الأمم. وقد مارس اليهود إجراءات عديدة، ليفصلوا أنفسهم عن الأمم الوثنية. وقد أشرنا سابقاً إلى بعض هذه الإجراءات. وأعطى اليهود أنفسهم مسحة مقدسة من وراء ذلك.

رفض السيد المسيح هذا الأسلوب. فكل الناس خطاة، والكل فى حاجة إلى غفران خطاياهم. ولا بد من التوبة. فلا فرق بين كاهن وإنسان عادى، بين سيد وعبد، بين غنى وفقير، بين رجل وامرأة.. الكل يحتاجون لمغفرة خطاياهم.

تفاعل المسيح مع العشارين والخطاة

التقى السيد المسيح بالعشارين والخطاة وجالسهم وأكل معهم

(مت ١١: ١٢)، ولم يجد المسيح غضاضة فى ذلك. فكان تقدير المسيح لهم كأناس، لهم قيمتهم الذاتية. كان يوحنا المعمدان معتزلاً فى البرية (مر ١: ٦، ٢: ١٨)، ولكن المسيح لم يتبن هذا الأسلوب. دعا المسيح للاندماج، ودخول المجتمع والارتباط بالناس.

لم يقبل اليهود هذه العلاقة. فاليهودى -النموذجى- يرفض الجلوس مع الخطاة أو التعامل معهم. والخطاة فى نظر اليهود، إما فئة الخطاة فى الشعب، أو كل من هم غير يهود. وقد رفض المسيح هذا الأسلوب، وجالس الخطاة.

اعتبر السيد المسيح أن الخطاة هم ضحايا النظام الحاضر، وضحايا الظروف المحيطة، وربما النشأة. ولابد من تجديد النظام، وتطوير الظروف، لتعاون الخطاة على تعديل مواقفهم. وقد يكون الضلال ناشئاً عن عدم اقتناع الإنسان بوضعه، وتصوره أنه يقدر أن يغير منه، كما كان دور الابن الضال.

لم يكن السيد المسيح متشدداً مع الخطاة، بل كان متشدداً مع المتدينين الطقسيين والمراثين. كان المسيح عطوفاً جداً مع الأشرار. لم يوجه المسيح لوماً للمرأة الخاطئة التى أمسكت فى ذات الفعل. فالمسيح يقدر الظروف الاجتماعية، والنفسية، والاقتصادية التى انطلق منها الشر. فالشر ليس وليد إرادة إنسانية فحسب، بل هو أيضاً وليد نظام المجتمع. كما أن السيد المسيح ترك مجالاً للتوبة.

علاج الخطيئة

هناك نظم اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، هي أساس الشر في المجتمع. ونحن نسمى هذه النظم evil structures. ولا بد من تغيير النظم لتتحول الأساليب إلى وسائل أفضل، وليتحرر الإنسان من مساوئ وشور ترتبط بالنظم.

وهناك شرور فردية، يرتكبها الإنسان بسبب إرادته الشريرة، أو بسبب عادة تعود عليها منذ طفولته. وصناعة الإنسان، من خلال تويته، بإرادته الحرة تعاونه على تغيير ذاتيته، إلى ما هو أفضل.

وليس غريباً، أن تكون نظم بعض الكنائس، نظماً شريرة، تدفع إلى الفساد، ولا تدفع إلى الإيمان. فالكنائس، يديرها البشر، وللبشر ضعفاتهم. وكم من كنائس، خلال التاريخ، تحولت إلى مؤسسات تدعم الخطأ، ولا تساند الإيمان.

يتم علاج الخطيئة من خلال توبة الإنسان. فالدعوة للتوبة وحدها، هي الطريق. ولما كان غفران المسيح قائماً، فالتوبة تجد صداها فوراً.

ومشكلة الإنسان، لا أن يحصل على غفران الله فحسب، بل أن يغفر هو لنفسه أيضاً. وهذه مشكلة حقيقية. فإن إنساناً، ارتكب إثماً معيناً، قد يجد من الصعوبة أن يغفر هو لنفسه. فيحتاج لوقت، يتعامل فيه مع نفسه، حتى يصفح عنها.

وهناك إطار شامل، يعاون على التربية المجتمعية، الأفضل سلوكاً، وذلك

من خلال نظم المجتمع.

ففى سويسرا، أنت تشتري تذكرة الأتوبيس، وقيمتها فرنك سويسرى أو فرنكان مثلاً. ويندر أن ير مفتش يطلب التذاكر فى الأتوبيس. لكنه لو مر، ولم يجد التذكرة، فيعاقب بدفع أربعين فرنكاً. هذا إلى جانب أن الشخص يصبح محلاً للمساءلة.

التقيت فى سويسرا مع مصرى يقيم هناك، سألته ماذا يعمل مع تذكرة الأتوبيس؟! قال: بداية الأمر لم أجد دافعاً أن أشتري التذكرة. وبعد شهر تقريباً، وجدت نفسى أشتري التذكرة، لأتى لم أحس باحترامى لذاتى، دون الخضوع للنظام العام.

فتجديد النظم يؤثر حتماً على سلوكيات الناس وقيمهم. والعمل على تجديد النظم، وترقية السلوكيات، أسلوب يرفع مستوى القيم والمعاملة إلى أساس كريم.

غفر السيد المسيح خطايا أشر الفطاة

فى نظر السيد المسيح، لا يوجد إنسان لا قيمة له. فكل إنسان هو خليفة الله ولا بد من العناية به. اهتم المسيح جداً بإعلان غفران الخطايا. وقد أثار هذا اليهود إثارة كبيرة. وهناك نماذج عديدة لذلك فى أعمال المسيح.

فالإنجيل رسالة فرح، لإعلان الخلاص. وقد أعلن السيد المسيح أن ملكوت الله قريب، وأن الله أب. وبإعلان هذه العلاقة، أمكن الارتباط المباشر، بين الإنسان وربه.

غفران الله قائم قبل التوبة

"لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك" (لوقا: ١٩: ١٠).
ودور السيد المسيح هنا أنه أعلن الغفران، دون تنفيذ عقاب الشريعة.
وارتفاع المسيح على خشبة الصليب، إعلان للغفران، دون انتظار لتوبة
الإنسان.

فإعلان الغفران قائم. بقى أن الإنسان يقبل أو يرفض، وهو بذلك يحكم
على نفسه.

لنأخذ الصورة التى رسمها السيد المسيح، فى قصة الابن الضال
(لوقا: ١٥). الصورة هنا، هى أن الأب صفح عن ابنه، قبل أن يتحرك ابنه
عائداً. والصفح قائم نتيجة المحبة اللامحدودة. وعندما جاء الابن، كان الأب
معداً لاستقباله. والصورة هنا صورة لاستقبال ابن انتصر فى معركة، أو نجح
فى حياته، أو حقق أهدافاً عظيمة. لكن الابن لم يحقق شيئاً من هذا. إلا أن
محبة الأب غفرت ما ارتكبه الابن من خطأ. فالغفران كامل وشامل، وبلا
حدود.

صورة الأب المحب هنا، كانت ثورة ضد تعليم اليهود، فى فترة ما بين
العهدين. فالحب اللا محدود، لا يعرف عقاباً، ولا يرضى بعقاب الشريعة.
هذا الحب، يصفح ويغفر.

ثم رسم السيد المسيح صورة أعظم للحب، عندما تحدث عن الخروف
الضال، والدرهم المفقود (لوقا: ١٥). وهنا يصور الراعى وهو يبحث عن الخروف

فى كل مكان، كذلك صاحبة البيت، وهى تفتش عن الدرهم المفقود فى كل مكان. فالحب، يمتد، إنه ينتظر، ويبحث ويفتش عن الضال. والراعى متى وجد الضال، لا يعاقبه، ولا يعنفه، بل يعتنى ويهتم به كثيراً.

وأخيراً، أساس موقف الإنسان، أيا كان، إنه خاطىء غفرت خطاياہ. فليس على الأرض من هو أفضل من ذلك.

مشكلة التفرقة في مجتمعاتنا الدينية اليوم

تعانى كنائسنا من التفرقة بين المؤمنين والخطاة. فالخطاة، هم الأشخاص الذين لا تنطبق عليهم قيم وسلوكيات وطقوس ونظم مفهوم الإيمان لدى فئة المؤمنين. ويرفض مجتمع المؤمنين دخول خطاة إليه!

بل إن مجتمع المؤمنين، لو أراد دراسة قضية علمية ما، فقد يتصرف بأسلوب التفرقة العنصرية. فهو لا يقبل شخصاً -فى نظرهم غير مؤمن- ليلقى المحاضرة، حتى وإن كانت فى تخصصه!

تتحكم فى هؤلاء "المؤمنين"، قواعد الشريعة الشفوية المتداولة بينهم. وهذه الشريعة تجرحهم إلى الاقتناع بأنهم "أبرار" طقسياً، وكان ينبغى عليهم أن يتأكدوا، أنهم يحتاجون لمغفرة الخطايا كل يوم.

لم يعرف السيد المسيح هذه التفرقة. فكان يتعامل مع العشارين والخطاة، الذين كانوا مرفوضين من المجتمع المتدين. فقد كان المسيح يقدّر الإنسانية، كقيمة فى حد ذاتها. علم المسيح المجتمع قيمه الغالية.

التعددية في الإيمان

الواضح من أسلوب المسيح أنه قبل التعددية. فلم يرض بنموذج واحد يلتزم به الجميع. كان حديث المسيح، في المقارنة بينه، وبين يوحنا المعمدان. فقد كانا نموذجين متنوعين. ومن الحديث الذي أدلى به الرسول بولس، عن الأكل مما ذبح للأصنام (والذي أوردنا دراسة مستفيضة بشأنه)، يظهر أنه يدعو للتعددية. فهناك من يأكل وهناك من لا يأكل.

الإيمان المسيحي يدعو للتعددية، ويسمح باختلاف الرأي وتنوعه. ويرفض أن يحكم واحد على آخر بالإدانة، أو أن يزدري واحد بآخر. فالتعددية الإيمانية أسلوب متاح، من كلمة الله، ومن تعليم المسيح سواء بأقواله أو بأعماله.

٣ - قضية المرأة

عانت المرأة كثيراً عبر التاريخ. ولو عدنا إلى مرحلة "ما بين العهدين"، فإننا نجد أن المرأة كانت فى أسوأ مراحل معاناتها، عبر التاريخ اليهودى.

نصح التقليد الشفوى بعدم التحدث مع المرأة كثيراً. فالمرأة أقل من الرجل قيمة ومكانة. والرجل هو السيد. ذكر سفر المكابيين ضرورة بقاء المرأة فى بيتها علامة الطهارة. ومع ذلك خرجت المرأة اليهودية إلى الحقول والدكاكين وظهرت فى المجتمع.

كانت التعليمات للمرأة أنها لا تسير فى الطريق وشعرها مسترسل، وأنها لا تتحدث إلى الرجال^(٨٦). كل إيراد الزوجة ملك للزوج، وكل ميراثها بعد الزواج يصبح ملكاً لزوجها^(٨٧). ووضع الفريسيون نظاماً أن الابن يرث الأسرة والابنة لا ترث، بينما اختلف الصدوقيون عنهم إذ سمحوا للابنة أن ترث^(٨٨).

كانت النساء تجلسن فى المجمع منفصلات عن الرجال^(٨٩). ولم تكن المرأة تتعلم الدين. قال ربى يهودى: إن الرجل يجرى وراء المرأة، لا المرأة وراء الرجل، لأن الرجل خلق من تراب، والمرأة خلقت من ضلع الرجل^(٩٠).

Edersheim , sketches p . 157 (٨٦)

(٨٧) المرجع السابق. ص ٢٨٩

Edersheim, The life & times of Jesus p . 321 (٨٨)

Edersheim . sketches, p. 146 (٨٩)

(٩٠) المرجع السابق

وقال ربى يهودى آخر: "لعن الله المرأة ليجرى الرجل وراءها" (٩١).

وقد أشرنا إلى بعض جوانب معاملة المرأة، وفهمها، فى حديث سابق عند التحدث عن الشريعة الشفوية.

استخدام الشال كان شائعاً، عند اليهود والرومان واليونان فى عصر السيد المسيح. لم يستعمل البرقع إلا نادراً (تك ٢٤: ٦٥)، ولم يستعمل الحجاب قط. المرأة تنتمى لرجل من طفولتها، فهى تتبع والدها، ثم زوجها.

احيطت المرأة بمشكلات عديدة. فعند ولادة طفلة، تعبر أسر عديدة عن عدم رضاها لأن الوليد أنثى. وهناك أسر تستمر فى الإنجاب حتى يأتى الذكر. ومتى كبرت الطفلة وأحست بأنها غير مرضى عنها، أو غير مرغوب فيها، فهذا الإحساس المؤلم يترك آثاره السلبية ويطبعاها على شخصيتها.

وتعانى الفتاة من العديد من المشكلات. فأخوها الأصغر له امتيازات أكثر، لمجرد أنه ذكر. وهى محاصرة بتقاليد عديدة: أين تذهب؟ متى تخرج من البيت؟ متى تعود؟ إلى غير ذلك. تحاصرها أسئلة عديدة: مع من تتكلم؟ من هم أصدقائها؟ هل تتكلم مع الأولاد؟ إلى غير ذلك.

والمرأة تلام أكثر من الرجل. نفس المشكلة اليهودية، التى لاتزال قائمة حتى الآن. المرأة ترجم أما الرجل فلا يحاسبه أحد. وتفهم المرأة أن المشكلة فى أنوثتها. وقد خلقها الله أنثى. فإن كان الله قد خلقها أنثى، فهى -دون شك- مكرمة، والأنوثة مكرمة، لأنها خليفة الله.

وقد حكمت بعض البيئات على المرأة، بلبس غطاء الرأس، أو الحجاب، أو نوع معين من الملابس. كل هذا له آثار نفسية أليمة على المرأة. ولماذا كل هذا؟ لأن المرأة لا يجوز أن تنكشف على رجل؟ ولماذا؟ هل الرجل وحش؟ هل المرأة ضعيفة؟ الطلبة والطالبات معاً فى المدارس، وفى الرحلات. الموظفون والموظفات معاً فى المكاتب، حكومية كانت أو أهلية، والعلاقات طيبة. هناك أخطاء وانحرافات، والانحرافات تزيد مع الحرمان، وتقل مع الاختلاط.

وهناك نساء، بسبب كل ما يعانينه، كرهن أنوثتهن، ويحاولن إخفاءها. قالت إحداهن: "كم كنت أتمنى لو كنت رجلاً". معنى ذلك، أنها ترفض أنوثتها. فهي تعاني من شيزوفرانيا (فصام)، ولا تقبل ذاتها بسبب أنوثتها. ولا تقدر أن تتصالح مع نفسها، ما لم تقبل ذاتها.

وحتى الكنائس! فصلت النساء عن الرجال فى الجلوس، بغير ما كانت عليه العلية الأولى -علية العهد الجديد. وهناك من يتشدقون بتحديد مواصفات للملابس المقدسة، والملابس الشريرة للنساء. وهناك -أيضاً- هجوم على زينة المرأة، إلى غير ذلك من المشكلات التى أقامتها القيادة الكنسية، عبر عصور عديدة، ضد المرأة.

قضية المرأة بالدرجة الأولى، هى قضية عدالة. فقد خلق الله المرأة إنساناً، مساوياً للرجل. وأراد الله تواجد النوعين: الذكر والأنثى. وأراد الله من البدء، أن تكون المرأة كالرجل. لكن التاريخ ظلمها، والنظم الاجتماعية أساءت إليها. وجاء الوقت لنرد للمرأة مكانتها، فنحقق معها العدالة.

رفض السيد المسيح هذا الأسلوب. طالب بتحرير المرأة. عندما وقف المسيح يتحدث إلى السامرية، تعجب التلاميذ، فكيف يتحدث مع امرأة (يو: ٤: ٢٧). ولكن المسيح قبل السامرية.

غفر المسيح خطايا المرأة

غفر المسيح للزانية التي أمسكت في ذات الفعل (يو: ٨: ٢-١١). كما غفر للخطاة التي جاءت تلمسه عند بيت الفريسي (لو: ٧: ٣٩).

وغفر لمريم المجدلية (لو: ٨: ٢). وتحدث عن الخطاة التي غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً (لو: ٧: ٤٧). وشفى نازفة الدم وغفر لها، قائلاً: إيمانك قد شفاك (مت: ٩: ٢٠-٢٢).

وقد كان غفران المسيح، مرتبطاً بعدم تطبيق عقاب الشريعة. فالزواني بالذات، كان عقاب الشريعة، يحكم عليهن بالرجم. وقد رفض المسيح ذلك. وكانت معاملة المسيح للمرأة كالرجل تماماً، في غفران الخطايا، فلم يكن ثمة فرق بينهما. فالرجل خاطيء، والمرأة خاطئة، والكل يقفون أمام الله سواسية، والكل يحتاجون لغفران الله، دون فرق.

المرأة تتعبد

رفضت الشريعة قديماً أن تسمح للمرأة أن تدخل الهيكل. فكانت المرأة تدخل دار النساء. وكان الرجال يدخلون إلى داخل الهيكل. أما في المجمع فكانت المرأة تحتل مكانة أفضل. ورفضت الشريعة قديماً أن تتعبد المرأة وهي حائض، فالحيض نجاسة في نظر الشريعة اليهودية.

وأعطى المسيح المرأة فرصة العبادة كاملة. فالمرأة تتمتع بالتقوى الشخصية، وحرية العبادة كالرجل تماماً. وحالة الحيض ليست نجسة. إنها طبيعية، ترتبط بمواصفات الأنوثة. ولا غبار على المرأة فى أن تتعبد فى كل حالة.

المرأة تعلم وتتعلم وتعمل

سمح المسيح للمرأة بأن تحضر تعليمه. وقد مدح المسيح مريم لأنها اختارت النصيب الصالح، وهو أن تتعلم عند قدميه (لو. ١: ٣٩). وقبل المسيح دور السامرية، عندما ذهبت لتحكى عما عمله معها المسيح. وقد أعطى الله وزناً للنساء كالرجال ليتعلمن، ويعملن (مت ٢٥: ١٤-٣).

تطبيق المرأة

تحدث المشنا اليهودى عن طلاق المرأة بدون تعويض^(٩٢) أعطى الزوج الحق أن يكون زوجاً وقاضياً، فيطلق زوجته متى أراد، ويكتب لها كتاب طلاق (مت ١٩: ٧). وقال المسيح إن موسى من أجل فساد قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم (مت ١٩: ٨)، ولعله قصد، أنه لم يكن من السهل إصدار قرار أفضل من ذلك. لكن هذا الوضع رفع مكانة المرأة فى عصر موسى، عما كان حال المرأة فى المجتمعات الوثنية المجاورة.

ومع ذلك ، فقد سمح للزوجة، أن تطلب من زوجها أن يطلقها، إن كان الزوج أبرص، أو مريض بمرض خطير، أو يمارس تجارة غير نظيفة^(٩٣) أما إن

(٩٢) المرجع السابق. ص ١٥٨

(٩٣) المرجع السابق.

كان أحد الطرفين هرطوقاً أو أنكر اليهودية، فكان الطلاق جائزاً^(٩٤).

إلا أن هذا ليس كافياً. فأراد المسيح أن يحرر المرأة من الرجل الظالم، فتحدث عن الطلاق في حالة واحدة هي علة الزنى (مت ٥: ٢٧ و ٣٢ و مر. ١: ١١ و ١٢).

العادات التي تسيء إلى المرأة

ظهرت عبر التاريخ عادات سيئة، تضر بالمرأة، إلى جانب أنها تسيء إلى كرامتها كإنسان، وكأنثى. من هذه العادات ختان الإناث، وممارسة ليلة الدخلة، وحجاب المرأة.

فختان الإناث، لحماية الأنثى، وحفظها طاهرة. والواضح علمياً أن الجزء الذي يبتتر من عضو الجنس، في الأنثى، لا يمنع عنها الشهوة، بل يبطنها فقط. وحماية المرأة ينبغي أن تكون من دوافعها الداخلية - كتعليم السيد المسيح فما ينجس الإنسان يخرج من قلبه "لأن من القلب تخرج أفكار شريرة" (مت ١٥: ١٩). هذا بالإضافة إلى أن الختان كثيراً ما يتحول إلى نزيف، يضر بالجسم، وقد ينتج عنه الموت.

وإثبات براءة الفتاة، عل أنها عذراء، في ليلة الدخلة، وسيلة سيئة، تمتهن كرامة المرأة. وقد مورست هذه العادة في أجيال قديمة، ولا يجوز أنها تستمر. فالثقة في المرأة، ثقة لا يجوز أن تعتمد على وسائل مهينة. وقد ظهر علمياً، أن غشاء البكارة للفتاة، مرات يكون رقيقاً جداً، يمكن تمزيقه

(٩٤) المرجع السابق.

دون نزول دماء، وهناك فتيات لا عذرة لهن، وهناك فتيات يحتجن إلى عملية جراحية لتهتك العذرة، لأنها تكون سميكة جداً. وهناك غشاء يمكن معه ممارسة الجنس ممارسة كاملة دون أن يتهتك، بل يبقى فى مكانه كما هو. والعادات الخاصة بعذرة الفتاة (غشاء البكارة)، تعود بنا إلى الشريعة اليهودية. فقد مارس اليهود إثبات وجود غشاء البكارة فى ليلة الدخلة واعتبروه دليلاً على طهارة الفتاة (تث ٢٢: ١٣-٢١). فإن كان اليهود قد مارسوها فى عصور قديمة، فليس لنا أن نمارسها اليوم. فالمعلومات الصحية المتاحة لنا اليوم، تختلف عن تلك التى كانت متاحة فى عصور قديمة.

أما حجاب المرأة، فهو مأساة. المرأة تلبس الحجاب، وتغطى بملابسها كل جسمها، خوفاً من أعين الرجل. والافتراض هنا أن عيون الرجال شريرة، وهذا ليس صحيحاً. ولو وجد رجل شرير، فما قيمة عينه الشريرة للمرأة؟ ولماذا تتعذب المرأة؟ لأنها تريد أن تخفى جسدها عن الرجل؟

لم يطلب المسيح من المرأة أن تختفى من أمام أعين الرجل، ولم يمنع المسيح المرأة من التحدث مع الرجال، كما أنه لم يمنع الرجال من التحدث إلى النساء. شجع السيد المسيح المرأة، أن تتعامل مع الرجال، دون حرج. بل لعله كان واضحاً، أن النسوة تعاملن مع التلاميذ بعد القيامة، كخادمات للمسيح.

لم يطلب المسيح من النساء ارتداء ملابس خاصة، ولم يتحدث المسيح قط عن ملابس المرأة. فكانت النساء تلبس ملابسهن كنساء عاملات وعضوات فى المجتمع.

لقد أخرج المسيح المرأة عن عزلتها، ودفعها لأن تعمل فى المجتمع ويكون لها دور فيه. وأعطاهم مكانتها الكاملة فى المجتمع.

قيادة المرأة

قبل المسيح شهادة المرأة. النسوة تبعن المسيح عند الصليب (مت ٢٧: ٥٥ و ٥٦)، وذهبن إلى القبر فجر القيامة (مت ٢٨)، وكن أول من بشر بالقيامة من الأموات.

سمح المسيح للنسوة بأن يأخذن دورهن فى العمل القيادى. فالنسوة، متزوجات أو أعزاب، رافقن السيد المسيح وقمن بخدمته، وقبل المسيح خدمتهن (لوقا ١٠: ٣-١).

وظهر دور المرأة القيادى فى كنيسة المسيح فيما بعد. كما احتلت المرأة مكانتها عبر التاريخ، فى أسمى المراكز. وكان لابد للمرأة أن تكون كذلك، لتكون مساوية للرجل. فهذه، فى المرتبة الأولى، قضية عدالة.

مكانة الطفل

وقد كان للطفل مكانة محدودة فى عصر المسيح. فلم يكن الطفل الرومانى ينال الاحترام، كإنسان فى المجتمع (٩٥).

وكان اهتمام اليهود بالطفل، هو الاهتمام بوليد للأسرة. فالطفل عندهم هو عطية الله (مز ١٢٧: ٣-٥). والمرأة المباركة هى التى لها أولاد كثيرون (تك ٣٣: ٥)، وعدم وجود أطفال فى الأسرة كان يحسب لعنة.

Weber, Jesus and the Christ, PP.5,6 (٩٥)

وكان اليهود يهتمون بتواجد أطفال، لدرجة أنه، لو مات زوج وليس له ابن، سمحوا لأخيه أن يتزوج زوجته، لينجب منها نسلًا (تث ٢٥: ٥-١٠)، والزوجة التي لا تلد، تعطى جاريتها لزوجها لينجب منها نسلًا (تك ١٣: ١-١٣).

لم يفهم الناس مضمون حقوق الطفل كإنسان. وعبر تاريخ العهد القديم، ظهر صموئيل، الذي أخذ النبوة طفلاً (١ صم ١: ٣-٩). إلا أن هذا يعتبر حدثاً فريداً، لم يتكرر.

أراد السيد المسيح أن يعطى الطفل مكانة أسمى، عندما قال "دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله" (مر ١٠: ١٣-١٦). فدعا يسوع إليه ولداً وأقامه في وسطهم، وقال: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت ١٨: ١-٥ و ٩: ٣٣-٣٧ و لو ٩: ٤٦-٤٨).

وقد كان واضحاً أن السيد المسيح، عندما سمح للأطفال، أن يدخلوا ملكوت السماوات كأطفال، سمح بدخول الأطفال شريعة العهد مع الكبار، لا فرق. وفي عهد المسيح، سمح للأطفال أن يحضروا تعليمه (مت ٢١: ١٤).

**الإنسان أهم من الشريعة
والمسيح أهم من الهيكل**

لقد شاهد السيد المسيح كيف اهتم حُماة الشريعة، بالشريعة، وتركوا الإنسان يعانى، فى سبيل دفاعهم عن الشريعة. وأحس المسيح بالألم، بسبب المفاهيم المقلوبة التى قدمها زعماء الدين، والتى شاهدها تمارس فى عصره.

قال المسيح: "السبت إنما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت" (مر ٢: ٢٧). وكان حديث المسيح هذا، أهم ما جاء فى الوحي المقدس. لخص المسيح الشريعة فى عنصرين:

"تحب الرب إلهك، وتحب قريبك كنفسك" (مر ١٢: ٢٨-٣٤). فإن كانت كل الشريعة -فى العهد القديم- تتلخص فى عنصرين، هما المحبة لله والقريب، فيكون المسيح بذلك، قد أكمل الشريعة إلى درجة أعظم وأعلى.

والسيد المسيح بذلك يرسى المبدأ الهام، وهو أن الإنسان أهم من الشريعة. بل الإنسان هدف الشريعة. لقد وضعت الشريعة فى العهد القديم من أجل الإنسان، ثم جعل الإنسان منها هدفاً، والإنسان وسيلة. وبذلك ضاعت القيم الحقيقية.

والمحبة -فى نظر المسيح- هى القياس الحقيقى، للعلاقات بين الناس وربه، وبين الناس بعضهم البعض. وقياس المحبة لا حدود له. ومتى وجدت المحبة، تحققت الأمال الكبار التى يريد الله للبشرية.

الإنسان أهم من تطبيق الشريعة

عندما شفى المسيح صاحب اليد اليابسة، يوم السبت، وتذمر الفريسيون، قال لهم: "أى إنسان منكم يكون له خروف واحد، فإن سقط هذا فى السبت

فى حفرة، أفما يمسه ويقيمه... فالإنسان، كم هو أفضل من الخروف" (مت ١٢: ١١ و ١٢). وشجع المسيح على كسر السبت، عندما جاع التلاميذ وابتدأوا يقطعون سنابل ويأكلون، فالفريسيون لما نظروا قالوا للسيد المسيح هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت. فكان رأى السيد موافقاً لما فعلوه حيث ذكّرهم بما فعله داود الملك الذى كسر الشريعة، بأن تناول، هو ومن معه، خبز التقدمة (مت ١٢: ١-٨). وذكر الرسول بولس بأن الإنسان أهم من السبت (كولوسى ٢: ١٦).

فهل يستمر الجائعون جوعى حفاظاً على خبز التقدمة؟ وهل يستمر التلاميذ جوعى، لكى لا يقطعوا السنابل فى الحقل فى يوم السبت؟

فما أراد المسيح أن يثبتته، هو أن الإنسان أهم من الشريعة، لأن الإنسان هو هدف الشريعة. فقد أعطى الله الشريعة قديماً من أجل الإنسان: أى من أجل تنظيم علاقة الإنسان بالله وعلاقة الإنسان بالإنسان، ومن أجل نموه وتقدمه، من أجل نجاحه، وراحته.

قال كاتب المزمور (مز ٨: ٥ و ٦): "بمجد وبهاء تسلطه على أعمال يديك، جعلت كل شىء تحت قدميه". فالقيمة الذاتية للإنسان، مهمة جداً.

الإنسان أهم من تطبيق عقاب الشريعة

رفض السيد المسيح تطبيق عقاب الشريعة على الزانية، عندما قال لهم: "من منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر". وفى حديث المسيح عن الابن الضال، تحدث عن قبول الأب لابنه الضال، دون عقاب الشريعة. وتحدثنا من

قبل عن ذاك الذى قرع على صدره، وطلب الغفران، وغفرت خطاياها، دون تطبيق عقاب الشريعة.

هناك أناس يهتمهم جداً تطبيق عقاب الشريعة على المخطئ،، كما لو كان الأمر شخصياً، وأن هناك رغبة شخصية للانتقام، وليس لتطبيق الشريعة. ولعل تطبيق العقاب يعطى لأولئك الناس إحساس الفخر، أنهم الأفضل، والأكثر براً، والأعظم قدراً.

وكان غفران الخطية المسبق، تعبيراً صادقاً، عن رغبة المسيح، فى وقف عقاب الشريعة، ومنح الإنسان غفراناً كاملاً، بلا حدود. فإعلان الحب الإلهى، اللا محدود، للإنسانية كلها، لا يرافقه عقاب شريعة.

القانون لا يحل المشكلات ولا يصلح الإنسان

فشل القانون فى حل المشكلات البشرية، سواء مشكلات الزوج والزوجة داخل الأسرة، أو الوالدين والأبناء، أو مشكلات المجتمعات البشرية، أو المشكلات بين الدول.

فالحل الصالح دائماً، يتم من خلال حوارات، أو مفاوضات، قد تحتاج لوقت طويل. ولا بد لهذه الحوارات أو المفاوضات أن تتسم بالمرونة الكافية، التى تسمح بإطار يعاون على حل المشكلات، وتحقيق اتفاقات دولية أو فردية. أما القانون الجامد، فلا يحل المشكلات.

وإن كان القانون لازماً على مستوى معين، وهو المستوى السياسى أو المدنى، لكى يكبح جماح الجريمة والشر فى المجتمع، ويحقق الحد الأدنى من

الأمن والاستقرار للمواطنين، إلا أن الأسلوب الأنجح فى العلاقات البشرية، حيث لا ينجح قانون، يتم من خلال حوارات ومفاوضات، تحقق السلام المبنى على العدل، كما تحقق المحبة المبنية على الحق.

وعندما رفض السيد المسيح أن يكون زعيماً سياسياً كما أرادوه، كان ذلك فكراً أساسياً له، يوضح أنه لا يريد الربط بين الدين والدولة، كما أراد أن يوضح أن أسلوباً آخر، غير أساليب الدولة وقوانينها وسياساتها المعهودة، يحتاج أن يتواجد فى المجتمعات البشرية لبنائها، على أسس من الاحترام.

هياة الشريعة فاقدون للإنسانية

يخطئ من يظن أنه موجود لحماية شريعة الله. فمن هو الإنسان الذي يحمى شريعة الله؟ إن كان الله لا يحمى شريعته، فكيف يقدر الإنسان أن يحميها؟

حماة الشريعة، فى كل جيل وعصر، هم أشخاص يستخدمون الشريعة وسيلة لتحقيق مآربهم، وأحقادهم. أو أنهم أشخاص، فقدوا الحس آدمى. تحدث أمامى طبيب بشرى، قال إنه فى حالة ولادة سيدة، لو تأكد له أن الطفل الوليد معوق، وأن الأم فى خطر، فهو سيُجرى عملية الولادة، فالطفل من حقه أن يولد، أما صحة الأم فيتركها فى يد الله، والله سيحميها إن أراد. أحسست أننى أتحدث مع شخص لا حس له. يتحدث بغير اكتراث. فهو يهتم بأن يحقق الولادة، ويرفض الإجهاض، ولا يهتم بطفل وليد، يولد مشوهاً، يعانى فى الحياة، ولا يهتم أم تموت، والوليد لا يجد أمّاً له. هل إلى هذا الحد، يفقد آدمي حسّه الإنسانى؟!

تصور أن صاحب اليد اليابسة، يده تشفى وهنا يتشدد حماة الشريعة،
قائلين: لقد كسر المسيح السبت وشفاه! أين الإنسانية؟!

تصور أن المؤتمر العالمى للسكان والتنمية، يعقد بالقاهرة، ويخطط هذا
المؤتمر لإنقاذ البشرية من الفقر والألم والذل لعشرين عاماً قادمة. وينبرى
حماة الشريعة، قائلين: هذا المؤتمر يبيع الإجهاض!!

ومهما كانت المشكلة، فهناك جوانب عديدة فى هذا المؤتمر، تعمل لحماية
الإنسان، من الفقر والجوع والألم، وتبحث عن سعادة البشر والبشرية. لكن
حُماة الشريعة لا يهمهم شئ سوى حماية الشريعة. ويظنون أنهم يحمونها.
وظهر عقلاء، يساندون المؤتمر، ويطالبون بتحديد ما يمس الإجهاض.

قال السيد المسيح: "أريد رحمة لا ذبيحة" (مت ٩: ١٣، ١٢: ٧، انظر
هوشع ٦: ٦). فالرحمة سلوك أخلاقى، والذبيحة عمل طقسى، الرحمة تأتى
أولاً، والذبيحة تأتى ثانياً.

كذلك قال السيد المسيح: "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت
أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً لإصطلح
مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥: ٢٣ و ٢٤). فتكوين علاقة
طيبة مع الناس تأتى أولاً، والعبادة تأتى ثانياً.

من ثم فالمحبة فى نظر السيد المسيح تأتى فى المكانة الأولى، ثم تأتى
العبادة تالية لذلك. الرحمة تأتى أولاً، ثم مراسيم العبادة تلى ذلك. فالمحبة
والرحمة، قيم إنسانية كريمة وعميقة.

وهنا يأتى السؤال: إذاً ماذا يحدث؟ هل هناك شريعة أم لا؟ وما هو الموقف فى المسيحية. وهذا يدفعنا إلى دراسة أعمق لاتجاه المسيح الفكرى، من خلال أقواله وأعماله.

أقوال السيد المسيح وأعماله ليست شرائع

حاول كثيرون أن يستخدموا أقوال المسيح على أنها شرائع. فهناك من يقول لك: قال المسيح كذا وكذا.. هذه أوامر، ينبغى أن تطاع. بل هناك من يعتبرون أن أقوال الرسل أيضاً أوامر ينبغى أن تطاع بالكامل.

وهناك من أضافوا إلى مثل هذه الأقوال، شرائع وشروحات شفهية - كما سبق أن شرحنا - لاستكمال الشريعة المسيحية.

وصف أحدهم الموعظة على الجبل، على أنها "قوانين ملكوت السماوات". وهذه التسمية تتعارض كلية مع روح المسيح، وفكره، ومبادئه.

لا شريعة فى المسيحية. أقوال المسيح وأعماله ليست شرائع، ولم يقصد المسيح بها أن تكون شريعة ما. فلا شريعة فى المسيحية. لا مكان فى المسيحية لقيم جامدة للحلال والحرام. لا إفتاء فى المسيحية.

حاول البعض اعتبار أن - العهد القديم - بكل شرائعه قائم. ولكنهم اصطدما بأن نظم الذبائح غير قائمة، والشرائع القانونية غير قائمة، وشرائع الصحة لا مكان لها. فالتعليم الصحى متوفر، ولا يحتاج الدين إلى وضع نظم صحية، كما كان الحال فى العهد القديم.

وحتى بعض القيم والمبادئ العامة، لا ترتبط بالمجتمع المعاصر فى

جوانب عديدة منها. فقيمة العهد القديم أنه يمهّد الطريق إلى المسيح. كما أنه الخلفية الأساسية التي يبنى عليها الإيمان المسيحي.

من هذا صار واضحاً أن الإيمان المسيحي ليس شريعة، ولن يكون شريعة جامدة. ونحن في الصفحات التالية نحاول أن نشرح كيف أن المسيحية إيمان بلا شريعة، وأن هذا الوضع أفضل جداً لمضمون الإيمان.

تنوع المجادي، التي تركها السيد المسيح

بمقارنة بسيطة بين تصرفات المسيح في مواقف متنوعة، وأقواله في مناسبات متعددة، نجد تنوعاً بين هذه الأفكار. وقد قصد المسيح هذا التنوع. فالتعددية - كما سبق الشرح - هي الأسلوب الذي اتجه إليه السيد المسيح، ودعّمه. إلا أنه برغم التنوع، فهناك اتجاه فكري واضح، في أسلوب حياة المسيح، أقواله، وأعماله.

ونحن نسوق بعض الأمثلة، من الأناجيل، التي تكشف لنا اتجاه السيد المسيح الفكري:

قال السيد المسيح: "من لطمك على خدك الأيمن، فحوّل له الآخر أيضاً" (مت ٥: ٣٩). ولكن السيد المسيح - في وقت المحاكمة - لطمه واحد من الخدم، ولم يحول له المسيح الآخر، بل نظر إليه المسيح وسأله: "لماذا تضربني؟" (يو ١٨: ٢٣). معنى ذلك، أن المسيح وافق على نظريتين، إحداهما أن الإنسان - في موقف معين - يتسامح مع من يسىء إليه، والأخرى: إنه في موقف آخر - يحاسب من يسىء إليه. فالموقفان صحيحان

قال السيد المسيح: "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس" (مت ٦: ٣١). وقال أيضاً: "من منكم، وهو يريد أن يبني برجاً، لا يجلس أولاً، ويحسب النفقة، هل عنده ما يلزم لكماله؟ لئلا يصنع الأساس ولا يقدر أن يكمل" (لو ١٤: ٢٨). والواضح هنا أن المسيح لا يريدنا أن نقلق وننزعج، وفي نفس الوقت يريدنا أن نجلس أولاً ونحسب النفقة، فمتى لزم التخطيط المبكر، كان لابد من ذلك.

نكتشف هذا المعنى أيضاً، من قصة المسيح عن العذارى الحكيمات والجاهلات، فالحكيمات أعددن أنفسهن مقدماً، والجاهلات لم يقمن بالاستعداد المسبق. مدح المسيح الاستعداد المسبق لحضور حفل الزفاف.

والواضح من حديث المسيح أنه يدعو للتخطيط المسبق، دون قلق أو ارتباك. فإن رعاية الله لنا، تدفعنا إلى الاطمئنان، إلا أن هذا لا يعنى أننا لا نستعد للمستقبل الاستعداد الكافى.

قال السيد المسيح: "لا تهتموا، قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس.. اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزداد لكم" (مت ٦: ٣١-٣٣). ثم قال: "لا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفى اليوم شره" (مت ٦: ٣٤). لكن المسيح، فى بستان جثيمانى، حزن واكتأب، وقال لهم "نفسى حزينة جداً حتى الموت" (مت ٢٦: ٣٧ و ٣٨)، ثم صلى المسيح قائلاً: "يا أبتاه، إن أمكن، فلتعبر عنى هذه الكأس" (مت ٢٦: ٣٩). فالمسيح الذى أوصى أننا لا نهتم، اهتم هو، وقلق، واكتأب

فأى الوصيتين تناسبنا؟ الوضع الذى يريده المسيح، أننا نهتم متى كان هذا مناسباً، وأننا لا نقلق متى كان هذا مقبولاً. وفى الحالتين نحن أصحاب القرار.

وقال السيد المسيح: "لا تقاوموا الشر" (مت ٥: ٣٩). ولكن المسيح عندما دخل إلى هيكل أورشليم، بعد الدخول الانتصارى، لم يحتمل ما يحدث، فقاوم الشر، واستخدم وسيلة العنف. حيث "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشتررون فى الهيكل، وقلب موائد الصيارفة، وكراسى باعة الحمام" (مت ٢١: ١٢). يتضح من هذا الأسلوب أن الوصية هى عدم مقاومة الشر فى الأوقات التى تناسب ذلك، ومقاومة الشر فى الأوقات التى تتطلب ذلك.

وقال السيد المسيح: "طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون" (مت ٥: ٩). ثم قال المسيح عن نفسه: "لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض... ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً. فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكثرة ضد حمااتها" (مت ١٠: ٣٤ و٣٥). فما هو أسلوب المسيح؟ صنع السلام، أو إلقاء السيف؟ صنع المحبة، أو صنع الخصام؟ والمعنى المقصود هنا، هو أن السلام يتطلب بعض الأوقات والعصور، والسيف التزام بعض الأوقات الأخرى.

فصنع السلام، وعدم مقاومة الشر لون من ألوان السلوك، كما أن مقاومة الشر، واستخدام القوة ضد انتشار الفساد أسلوب آخر... وكلاهما حسن.

قال السيد المسيح: "من قال لأخيه رقا، يكون مستوجب المجمع، ومن

قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت ٢٢: ٥). وعندما أراد هيرودس أن يقتل المسيح، وأبلغه بعض الفريسيين بذلك، قال المسيح لهم: "قولوا لهذا الثعلب" (لو ١٣: ٣٢). وتحدث المسيح بمثل عن ذلك الغنى الذى وجد متعة لنفسه، ليأكل ويشرب لسنوات عديدة، فقال له الله "يا غبى. هذه الليلة تطلب نفسك منك" (لو ١٢: ١٧-٢١). ومعنى ذلك، أن التغييرات المختلفة التى تصف الأفراد، يمكننا استخدامها متى لزم.

من هذا نرى أن المسيح لم يحدد شريعة معينة، لكنه وضع مواصفات، تسمح لنا بالتصرف فى مواقف متباينة حسب الظروف المتاحة.

ليس من حق أحد، أن يأخذ جانباً واحداً ويعمل منه شريعة، ويتحدث عنه، كما لو كان أمراً من الله، يلزم طاعته. فالواضح أن المسيح من أسلوب حديثه -أو أعماله- وضع خطوطاً متعددة، ترسم كيف يمكن للإنسان -أو الجماعة- أن يختار طريق تجاوبه أمام المواقف.

وصايا المسيح لا يمكن تحويلها إلى شرائع

ومن أقوال المسيح ما لا يصلح أن يكون شريعة. فقوله: "إن كل من ينظر إلى امرأة، ليشتتها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت ٥: ٢٧ و ٢٨). فمثل هذه الوصية ، لا يمكن أن تكون شريعة. والحكم الحقيقى هو الإنسان نفسه. والواقع الذى أراده المسيح، هو أن الرجل يزنى، كما أن المرأة تزنى. وإن كانت مجرد النظرة شهوة، فمن ذا الذى لا يزنى. والواقع أن الإنسان يحتاج لنعمة الله.

ولا شك، أن المسيح لم يرد أن يمنع الرجال من أن ينظروا للنساء. فالمسيح التقى بالنساء، وتعامل معهن. وكانت علاقة تلميذات المسيح، علاقة مستمرة مع تلاميذه. فلم يكن هذا مقصوداً.

وقول المسيح للغنى: "بع كل مالك، واعط للفقراء" (مت ١٩: ١٦-٢٢)، لا يمكن أن يكون شريعة. فالعطاء هنا يرجع إلى الإنسان نفسه. فلا حكم يمكن أن ينشأ من هذا القول. فى العهد القديم وضعت شريعة للعشور، لكن العهد الجديد لا يضع نظاماً محدداً للعشور.

فالعطاء فى العهد الجديد، نابع من قلب محب مخلص، يعطى بسخاء، لأنه يحب أن يعطى. وليس الاتجاه فى العهد الجديد أن العطاء يرتبط بشريعة محددة.

وقد رد السيد المسيح الشرائع إلى أصولها وجذورها. وهذه وصايا ترتبط بهاطن الإنسان وأعماق فكره. وهى أمور غير قابلة للقياس، ولا يمكن تحديدها بمقاييس بشرية، وبالتالي، لا يمكن أن تكون شرائع. فتحدث المسيح عن الصدقة المخفية، والصلاة فى المخبأ، والصوم الذى لا يحس الناس به. كل هذه المقاييس، ليست واضحة أمام الناس، لكنها مكشوفة أمام الله. قال المسيح: أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية.

بل إن قول المسيح لبطرس أن يغفر لأخيه سبع مرات سبعين مرة (مت ١٨: ٢٢-٢٧)، لا يمكن تطبيقه بشريعة. فالغفران للآخرين هو عطاء القلب المحب.

وفى قول السيد المسيح: "من يغضب على أخيه باطلاً، يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت ٥: ٢١ و ٢٢). هذا القول غير قابل للتشريع، لأنه غير قابل للقياس.

وقال المسيح: "أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم؛ (مت ٥: ٤٤). هذه قيم أيضاً غير قابلة للتشريع، لأنها غير قابلة للقياس. يضاف إلى ذلك، أن حب الإنسان، لا يتم بالتشريع، بل بالرغبة الصادقة من داخل الإنسان.

فالإيمان المسيحى، يرتبط بسلوك، تنبع دوافعه من داخل الإنسان. هذا الإيمان، لا يمكن أن يرتبط بشريعة حرفية، ولكنه يتعلق باختبارات الإنسان فى مواقف الحياة المتنوعة. فالمبادئ التى نادى بها المسيح، أساساً للسلوك الفردى، أو الجماعى، لا يمكن أن تكون -فى حد ذاتها- قوانين تحكم الإنسان.

لا شريعة فى المسيحية

من هذه المقارنات الروحية، نكتشف الحقائق التالية:

(١) لن تكون المسيحية "شريعة" تطاع، ثم يطبق عقابها (٩٦).

فالمسيحية مبادئ وقيم، أعلنها المسيح، ونحن نأخذ من هذه القيم، لنطبقها على المواقف التى نواجهها.

Goodspeed . A life of jesus p. 81 (٩٦)

وقد نختار فى موقف عكس ما نختار فى موقف آخر، فى ضوء الظروف المتاحة، وفى ضوء تعليم السيد.

(٢) الموعظة على الجبل، وأقوال السيد المسيح، وأعماله لا تنظم شريعة، ولن تكون شريعة. ولك ما جاء فى أقوال المسيح، نماذج، لا يجوز مطلقاً تحويلها إلى شرائع. فبعضها غير قابل للقياس، وبالتالي، فما يقبل القياس ينطبق عليه نفس النظام. فأقوال المسيح وأعماله لها إطار واحد، ولم يقصد منها المسيح إلا أن تكون مثلاً ونماذج.

(٣) الحكم فى كل موقف، حكم فردى إن كان يرتبط بفرد، وحكم جماعى، إن كان يرتبط بجماعة. ولهذا الفرد، أو الجماعة الحكم الذى يروقه فى ضوء تعاليم وروح الكتاب، من ضمير حر، يتحسس فهمه لما يريده الله.

(٤) لا سلطان لأحد أن يحكم على غيره. فالحكم لله وحده. أما الذين سمحوا لأنفسهم بأن يجلسوا على كرسى موسى ليحكموا على غيرهم، فالأولى بهم أن يحكموا على أنفسهم فقط. فالذين يحكمون على أنفسهم، ينبغى لهم الحذر: فهل أحكامهم نتيجة غرورهم وتعاليمهم، أو نتيجة حقدهم وكراهيتهم، أو نتيجة كل هذا مجتمعاً معاً؟

لم يحكم المسيح على أحد، حتى الصدوقيون الذين اختلف مع أفكارهم ومعتقداتهم، لم يكفرهم. وكان يريد منهم سلوكاً يتفق مع كونهم كهنة الشعب.

تحتاج الأوساط "التقوية" أن تتحرر من استخدام غرورهم الدينى كوسيلة للتشويه، ونشر الشائعات، ضد من لا يستريحون إليهم أو من يحققون عليهم. لتتحرر المجتمعات "التقوية" من كبرياء الحكم على الآخرين، والإساءة إليهم، بدعوى "التقوى" الزائفة.

(٥) يعامل الله الإنسان ككل. فالله لا يعامل الفرد على كل تصرف على حدة. فمعاملة الله للإنسان، هى رؤية الله الشاملة للإنسان، وإخلاصه. فلا يعامل الله الفرد على خطأ مفرد، ما دام الإنسان مخلصاً فى إيمانه وحياته مع الله.

فمعاملة الله للإنسان ليست بأسلوب الشرطى^(٩٧)، الذي يتطلع للإنسان، لعله يكتشف غلطة ما، ثم ينفذ عقابه فيه. أسلوب الله، ليس كذلك. فالله يعرف الإنسان، ويعرف ضعفاته. وغفران الله للإنسان سابق، حتى لتوبة الإنسان عما فعل.

(٦) لم يفرض السيد المسيح نظاماً جماعياً على المؤمنين به، خارج نطاق قيم المحبة، والحق، والعدالة. ولم يوصي بعمل جماعى، يفرض على أتباعه، فإن قصر واحد يعاقب. فلم يكن هذا أسلوب المسيح. ومتى أرادت جماعة ما، اتخاذ أسلوب جماعى فى أى موضوع يتفقون عليه، فلكل واحد بحريته الشخصية أن يتبع رأى الجماعة.

(٧) لا يجوز لفرد أياً كان ولا لجماعة أياً كانت، أن تدعى أنها تمتلك

Phillips : Your God is too small P.9 (٩٧)

الله لذاتها^(٩٨)، وأنها وحدها تعرف الحق الإلهي النهائي، وأن معرفتها هي الوحيدة، وأن كل من هم عداها جهلة.

لا تقدر جماعة ما أن تضع الله في صندوق يحتوى فكرها وحده^(٩٩). فالله أعظم من كل البشرية، ومن كل البشر. لا تقدر جماعة ما، أن تشكّل الله لصالحها^(١٠٠).

يكفى الإنسان أن يتواضع أمام الله، ويترك ماله لله، فلا يتعالى عن قدرته البشرية المحدودة.

(٨) الإنجيل، ليس شريعة، بل رسالة فرح، وخلاص وانتصار. فهو رسالة لكل البشرية لأنهم خطاة. خاصة لأولئك الذين يعانون من الفقر والظلم والشر والألم. ولا يجوز لنا أن نهتم بجانب ونترك الآخر.

(٩) التقيد الحرفى المفرط بالقانون (Legalism)، لم يخلص أحداً، ولم ينجح فى حماية أحد. فالنعمة الإلهية وحدها هى العون للبشرية. وتقدم الإنسان، وبالتالى تقدم البشرية، يرتبط بنعمة الله وحدها.

ومن نعم الله على الإنسان تقدم العلم. فقد سمح الله للإنسان، أن يتقدم بالعلم، وسوف يتقدم به أكثر. وكلما تقدم العلم، كان وسيلة يستخدمها الإنسان، لتقدم البشرية، والمسكونة بأسرها.

(٩٨) المرجع السابق. ص ٤٢

(٩٩) المرجع السابق. ص ٣٧

(١٠٠) المرجع السابق. ص ٤٣

اتجاه المسيح يرسم الطريق الذي نسير فيه .

المواقع التى واجهها المسيح، كانت تتصف بالمجتمع الريفي، أو الحضري، فى فلسطين فى عصره. ونحن اليوم، نواجه واقعاً، يختلف كلية عن مجتمع فلسطين القديم. فالتقدم العلمى سريع، والعلاقات بين الدول ترسم التطور الهائل والسريع فى كافة جوانب الحياة. والطفل اليوم - منذ أن يولد - يجد الحياة أمامه، تختلف كلية عن الحياة التى نعرفها - مثلاً- منذ خمسين عاماً.

فكيف نتصرف ونحن نواجه الحياة بما فيها من مشكلات معاصرة؟ فالمخدرات تنتشر، والتطرف العنيف يسود، وقد لا نجد في الكتاب المقدس ما يحدد حرفياً كيفية مواجهة هذه المشكلات وغيرها.

لذا، قلنا إنه لا شريعة. فمن روح السيد المسيح، واتجاهه، نستنبط الطريق الذى يرسم قيم السلوك فى الحياة اليوم.

فمن أسلوب السيد المسيح نرى عطفه على الفقراء، مما يرسم لنا اتجاهاً هو الاهتمام بالفقراء. فاهتمامنا بهؤلاء، لا يشترط نفس الطريقة التى كانت فى عصر المسيح، بل لنا أن نستخدم أحدث أساليب العلم لكى نطبق ذلك.

ومن اتجاه السيد المسيح، نرى اهتمامه، بأن يكون المجتمع مشتركاً، من رجال ونساء، يعيشون حياتهم دون تفرقة. ونرى اهتمامه بالمرأة، ودورها. ونحن لا نرتبط بنفس التطبيقات التى كانت أيام المسيح. فالمرأة اليوم لها حرية أكثر مما كانت عليه فى عصر المسيح. والمجتمع اليوم مجتمع مشترك،

حيث تعمل المرأة كالرجل فى الوظائف وغيرها. فرؤيتنا اليوم، هى أن نسير فى الاتجاه الذى رسمه لنا السيد المسيح، أى بإعطاء حرية أكثر للمرأة، ودفع المجتمع أن يعمل معاً. والأساليب التى نستخدمها اليوم ترتبط بالحاضر، وبالمجتمع الذى نعيش فيه.

وهكذا، نرى أننا نسير فى "الاتجاه" الذى رسمه السيد المسيح، بأسلوب العصر الحاضر، وبالإمكانيات المتاحة لنا علمياً فى مجتمعنا.

نما هي الحدود ؟

يقول قائل: إن هذا يعطى فرصة للتسيب أو الإهمال، والخطأ. فالحرية لها ميزات عديدة، وكثيرون يستخدمون الحرية فرصة للجسد. فهل هناك حدود؟ هل هناك ضوابط؟ وما هى؟

ترتبط قيم المسيحية بالمحبة والعدالة والحق، أساساً رئيسية فى كل ما يحدث، وما يتم اختياره من قيم سلوكية. فهذه القيم الأساسية، تعتبر مقياساً عاماً، لكل ما يتضمنه العمل الإنسانى الفردى والجماعى. ومن هذا تكون القيم العامة هى الدليل، أما الأمور الفرعية المحدودة، فهى القيم التى تتم فيها الاختيارات الفردية.

هذا الدليل العام يمثل جوانب التحرك أو الانضباط، فى السلوك اليومى. علينا أن لا نخشى أن يُفُلت الزمام، فالضابط الحقيقى، هو ضمير الإنسان -أو ضمير الجماعة- أمام الله. الشريعة -وحدها- ليست حُكما على الإنسان وأعماله.

لا يجوز لنا أن نحكم على الغير، ولا أن ندين الغير. قاله - وحده - هو الذى يدين. وكل إنسان يتصرف من نبع إرادته الحرة، وهى التى تحكم عليه.

وحتى الذين يطلبون الإرشاد والتوجيه، فنحن نعاونهم، على أن يعرفوا، أن رأى الواحد منا ليس شريعة تُطاع، وليس أمراً ينفَّذ، فلمن يستمع إلى التوجيه أن يقرر لنفسه ما يريد أن يعمل.

المسيح أعظم من الهيكل

قال السيد المسيح: "إن ههنا أعظم من الهيكل" (مت ١٢: ٦)، وكان يتحدث عن نفسه. فالهيكل بالنسبة لليهود، هو مركز العبادة. المكان الذى يحل الله فيه بمجده. فالمسيح، نفسه هو هيكل العهد الجديد، بكل مجده، وجلاله. هو الكلمة المتجسد. هو أعظم من الهيكل، وبالتالى، فهو أعظم من الشريعة. لم يرد أن يكون زعيماً، بل جاء خادماً.

ووضع نفسه، ليكون فى خدمة الإنسان، ومن أجل الإنسان. أشبع الجياع (يو ٦: ١٣)، شفى الأعمى (يو ٩: ٦)، شفى المرضى (مت ٩: ٣٥)، تحن على الجموع (مت ٩: ٣٦)، اهتم بالفقراء والمظلومين والمهمشين والذين لا مأوى لهم... اهتم بالجذع والعرج والعمى والمساكين (لو ١٤: ١٦-٢٣)، اهتم بالمرضى الذى لم يهتم به أحد (يو ١: ٩-١٠).

قال عن نفسه: "أنا هو الباب، إن دخل أحد، فيخلص، ويدخل ويخرج، ويجد مرعى (يو. ١: ٥). وقال: "أنا هو الراعى الصالح، وأعرف خاصتى،

وخاصتى تعرفنى" (يو. ١: ١٤). ووصف إرساليته: "وأما أنا فقد أتيت، لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل" (يو. ١: ١٠).

شارك السيد المسيح المجتمع، بذل كل الجهد لتحرير الفقير، والخطيء والمرأة. واهتم بنشر السلام، فى قوله: "سلاماً أترك لكم، سلامى أعطيكم، ليس كما يعطيكم العالم أعطيكم أنا" (يو ١٤: ٢٧).

قدم لنا تعاليم جديدة. كان أول من استعمل لقب "أب" عن الله، فجعل الله قريباً من الإنسان وليس بعيداً عنه. بعض تعاليمه جديد كلية، مثل: "لا تقاوموا الشر" (مت ٥: ٣٩) "أريد رحمة لا ذبيحة" (مت ٩: ١٣)، "إن أراد أحد أن يأتى ورائى، فليترك نفسه، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى" (لو ٩: ٢٣) "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو ١٥: ١٣)، "ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة" (لو ٥: ٣٢).

عندما تعامل السيد المسيح مع الهيكل تصرف على أنه رب الهيكل، وعندما جلس مع الشعب، كان يتحدث كقائد المسيرة، وعندما جلس مع التلاميذ، كان المعلم والمربي، وعندما تحدث مع الفريسيين والكتبة كان يتحدث بسلطان، ليس كسلطان الكتبة، وعندما كان يغفر الخطايا، كان يمارس سلطاناً، لم يعتد البشر عليه.

هذا هو يسوع، أمساً، واليوم، وإلى الأبد. رجاء الحاضر والمستقبل، للناس ولل بشرية كلها. باسمه قامت ثورات، وباسمه تحرر كثيرون من الاستعمار، وباسمه نودى بالحرية والديمقراطية فى كل شعوب العالم.

باسمه تحرر أناس من مآسى التفرقة العنصرية، وباسمه تحرر كثيرون من
شُرور العالم والخطية. فهو الكرمة التى تجمع الأغصان، وهو الدجاجة التى
تجمع فراخها تحت جناحيها، وهو الراعى الصالح الذى يبحث عن الضال حتى
يجده، والذى يضع نفسه من أجل أحبائه.

إنه يسوع الذى اهتم بالفقير، والأعمى، والجائع، كما اهتم بالفيلسوف
والمعلم. وهو الذى تألم من أجل الجميع، حباً لا محدود. فهو لم يأت ليدين،
بل ليخلص.